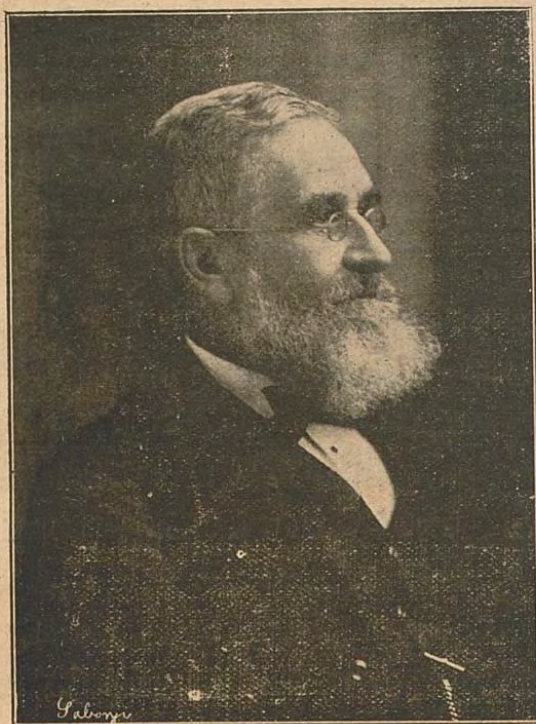


المقطف

الجزء الثاني من المجلد السابع والعشرين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٢ - الموافق ٢٢ شوال سنة ١٣١٩

رجال الأعمال والأموال



السر جون افانس

يقول العرب "طالب علم وطالب مال لا يجتمعان" وقالوا "ما احسن الدين والدنيا اذا

اجتمعوا " فنفوا المال عن طلبة العلم واستحسنوه في رجال الدين . ولكن اذا حق لنا ان نبسح
المال لقوم ونحرمه على قوم ابغناه لرجال العلم لا لرجال الدين لان هؤلاء احرى من كل احد
بالزهد في حطام الدنيا لكي يتسنى لهم حث غيرهم على الزهد فيها فلا ينصرف هم الناس كله
اليها . اما العلم فانه قرين المال وعميده بل كل منهما عميد الآخر . العلم يزداد نفعه بالمال
والمال يزداد نفعه بالعلم وعليهما كليهما تبنى عزة الامم ونظام دعائم الممالك ولا ترتقي الشعوب
الا حيث يعضد المال العلم والعلم المال

لما زرنا معرض باريس الاخير انسنا بلقاء رجل من شيوخ العلماء وهو السرجون افانس
وكنا نسمع عنه ونقرأ خطبه ونود التعرف به وبقينا انه منقطع للعلم لا يفعل شيئاً سواه . ثم
زار القطر المصري في الشتاء الماضي وحالما وقع نظره على بالات الورق في دار المقتطف وقف
متأملاً واستوقف زوجته لادي افانس قائلاً لها انظري ورق معملاً . ثم اخبرنا انه صاحب
معمل دكنسن المشهور بعمل ورق الكتابة وورق الطباعة في البلاد الانكليزية وقد تحول
هذا المعمل الآن الى شركة مساهمة رأس مالها ٤٥٠ الف جنيه والجانب الاكبر من اسهمها
له . ولدى البحث والاستقصاء وجدنا انه ابن اخت جون دكنسن منشيء هذا المعمل وقد
انضم اليه سنة ١٨٤٠ وعمره ١٧ سنة وتزوج بابنته واشترك معه سنة ١٨٥٠ وعكف على
توسيع نطاق المعمل واثقان اعماله وتوفير ارباحه ولم يصرفه ذلك عن خدمة العلم فقضي حق
العلم وحق المال لانه كان يقضي ساعات الفراغ من الاعمال في الدرس والبحث وانتظم في
سلك كثير من الجمعيات العلمية وصار رئيساً لكثير منها فأسس جمعية علم النقود وجمعية العاديات
والجمعية الجغرافية والجمعية الملكية وجمع ترقية العلوم البريطاني . وله تاليف مختلفة في علم النقود
والعاديات وعنده مجموع كبير من التحف قلما يوجد مثله وقد ظهر لنا من الحديث معه ان
عنده من نواذر النقود القديمة ما لا مثيل له عند سواه

ولو اقتصر هذا الرجل على خدمة العلم ما مات جوعاً ولا عاش فقيراً . تبارك كما يعيش
كثيرون من خدمة العلم عندنا ولا اضطر ان يهرب بقله وكتبه من بلاد الى اخرى كما
يهرب كثيرون من ابناء المشرق الذين قضى عليهم نكد الطالع ان يكونوا من ارباب الافلام
لان لرجال العلم شأنًا كبيراً عند الامة الانكليزية وكل الامم الاوربية . ولكنه لو فعل ذلك
ما استطاع ان يقتني القصور ويجمع التحف ويضيف العلماء وينفق على المباحث العلمية اتفاق
المثري الكريم . فقد اخبرنا ابنا انه زاره في قصر له في مدينة دوفر وكان قد دعا اليه
كثيرون من اعضاء مجمع ترقية العلوم البريطاني فرأى بسطة جام وعزاً لا يظهر فيه الا

الامراء وكبار الاغنياء . ورأينا في نشرة نشرتها لجنة البحث عن آثار كربت ان اكثر نفقات البحث منه والباحث عن تلك الآثار ابنه فكانه وقف ماله واولاده لخدمة العلم . فالمال الذي اكتسبه بجده من صناعة الوراقة كان له عوناً كبيراً على توسيع نطاق العلم فوق ما فيه من رفعة الجاه عند من يعرف كيف ينفق ماله في ما يكرم على انفاقه فيه . ولم يثر هذا الرجل مثل كبار الاغنياء لكن مقامه بينهم لا يقل عن مقامهم ونفعه لوطنه قد يزيد على نفعهم



بيرنت مورغان

نتقل الآن من رجل ناهز الثامنة والسبعين ولم تبلغ ثروته نصف مليون من الجنيهات الى رجل ربح نحو ثلاثين مليوناً في عشر سنوات ولا يزال كهلاً في عنفوان القوة وعلو الهمة ويقال انه ات الى القطر المصري ليمتاع سكه الحديدية ويشجع لها شركة واحدة كما فعل بكثير من الشركات الاميركية

وهو رجل رزين قليل الكلام . يجلس في مكتبه حيث يدير اشغاله الكثيرة مفصولاً عن الكتاب الذين في خدمته بفواصل من الزجاج حتى يراهم ويروه واذا دخل عليه وزير

قابله كما يقابل جمهور السماسرة والتجار سواء بسواء . يخنار في حديثه الكلمات الوجيزة اللفظ الكبيرة المعنى مثل كلمة نعم وكلمة لا ويلفظ الكلمة منها نبراً لفظ رجل بات الحكم غير متردد . ولا تبلغ ثروته الآن ثروة ركفلر ولا ثروة كارنجي ولكنه اقدر منهما على ادارة الاعمال وسلطته اعظم من سلطتهما . وقد اثريا اكثر منه لان جانباً كبيراً من ثروتهما اناهما عفواً بنمو البلاد وازدياد الطلب على البترول والحديد واما هو فاني ثروته يجده وحسن نظره في العواقب

كان ابوه صانعاً عند فلاّح ثم صار كاتباً عند بائع منسوجات وبقي كذلك الى ان صار عمره ٣٨ سنة وخطر له حينئذ ان يشتغل مستقلاً ففتح بنكاً صغيراً في مدينة بوسطن واشتهر بجتهاده واستقامته فاستعنت اشغاله رويداً رويداً وصار من اعرف الناس بالاسواق المالية في الدنيا كلها فوثق به معاملوه ثقة تامة لانه كان يخلص النصح لهم ولا بدعهم يضاربون مضاربات تعود بالخسارة عليهم واقتصر على ما يسمى باشغال البنك القانونية وزادت اشغاله بازدياد ثقة الناس به حتى صار له المقام الاول بين المالىين فزار بلاد الانكليز وكانت شهرته قد بلغت اليها وتعرف فيها بالمستريبيدي المشهور بغناه ومبراته فقدره بيدي قدره وعرض عليه ان يشاركه في اعماله المالية فزادت تلك الاعمال نجاحاً وجرى على اسلوب الانكليز في استثمار المال وبذل جهده في حمل الانكليز على الثقة بالبيوت المالية الاميركية فزادت الثقة بين نيويورك ولندن ورسخت على قواعد متينة فكثرت بسببها المعاملات المالية ولما عاد الى نيويورك سنة ١٨٧٧ قبل باحتفال عظيم واوّل له كبار الاغنياء وليمة فاخرة اعترافاً بفضلهم عليهم ويقال ان ثروة الذين حضروا تلك الوليمة كانت نحو مئتي مليون جنيه

ونشأ المستر مورغان صاحب الترجمة في كنف ابيه وتدرّب عنده على المعاملات المالية وتوفي ابوه ١٨٩٠ فاستقل بادارة اعماله ووسع نطاقها بهمتهم واشتهر باصالة الراي والحزم في الاعمال . قيل جاءه رجل يملك منجماً كبيراً من الفحم الحجري وقد صمم على بيع المنجم له باغلى الاثمان لانه كان في حاجة شديدة اليه . وجعل يحدث نفسه بما يقوله وما يجيبه المستر مورغان به حتى لم يبق عنده ريب في ان البيع يكون صفقة رابحة جداً له فدخل مكتب المستر مورغان واخبر الكتبة باسمه وجلس ينتظر الى ان عيل صبره واخيراً خرج اليه المستر مورغان وقال انني ادفع في المنجم كذا وكذا من الريالات فان كنت تقبل فامض صك البيع . قال ذلك وعاد الى مكتبه فامضى الرجل صك البيع ولم يفه بكلمة

وقال احد السماسرة جئته يوماً لاقترض منه مليوناً من الريالات على ضمان ولم اكن

اعرفه ولا كان يعرفني فنفّرّس في وجهي لحظة من الزمان ثم نظر الى الورقة التي كتبت فيها اسماء الضمانات وقال نعم وأشار الى احد شركائه ليدفع اليّ المال المطلوب . فامضى في ربع دقيقة عملاً مالياً كبيراً قد لا تستطيع دولة كبيرة ان تمضيّه في اسبوع

واكبر الاعمال المالية التي اشتهر بها ضم الشركات بعضها الى بعض حتى نزول المناظرة من بينها ونقل نفقاتها وتزيد ارباحها . من ذلك ضم ثمان من شركات الفولاذ (الصلب) وجعلها شركة واحدة رأس مالها ٢٢٩ مليون جنيه . واهم هذه الشركات شركة كارنيجي وكان لكارنيجي في شركته ٨٥٠٠٠ سهم يساوي السهم منها ٣٠٠ جنيه فجملة ما يمتلكه فيها ٢٥ مليوناً ونصف مليون من الجنيهات فاتفق معه أولاً على بيع اسهمه للشركة العمومية واخذ اسهم جديدة بدلاً منها تساوي اربعين مليوناً من الجنيهات وريعها السنوي اكثر من ثلاثة ملايين من الجنيهات ولما تمّ له ذلك لم يتعذر عليه ان يبدل اسهم بقية المساهمين في الشركات السبع الاخرى باسهم جديدة من الشركة العامة . وكان رأس مال هذه الشركات السبع ١١٢ مليون جنيه واذا اضيفت اليها شركة كارنيجي بلغت قيمة اسهمها كلها نحو ١٧٠ مليون جنيه فلما جعل اسهم الشركة الجديدة ٢٢٩ مليون جنيه رفع قيمتها نحو ستين مليون جنيه وكان هذا الرفع حقيقياً لا وهمياً لان ارباحها زادت مليونين ونصف من الجنيهات بزوال المناظرة وبتقليل نفقات الادارة كما سيحيي . وغني عن البيان انه تناول اجرته من هذا العمل الكبير ولم تقف على مقدارها ولكنها لا تقل عن بضعة ملايين من الجنيهات ذلك كله وهو لا يعرف شيئاً من عمل الفولاذ

وقد تدرّج الى هذا العمل العظيم وهو تأليف شركة رأس مالها ٢٢٩ مليون جنيه بعمل آخر يقاربه في عظمتيه وهو ضم خمس شركات من شركات سكك الحديد التي في الجهات الشمالية الشرقية من اميركا رأس مالها مئة مليون جنيه فانه ابتاعها الواحدة بعد الاخرى ووحدها ووفر ارباحها بتقليل نفقاتها . ثم ضم الشركات التي في الجهات الجنوبية وبعض الشركات التي في الجهات الغربية فصار المتصرف المطلق في اجرة النقل وثن الفحم الحجري وبلغ ربحه من ذلك كله ما اشترنا اليه قبلاً ذلك انه ورث عن ابيه مليونين من الجنيهات فصيّرهما ثلاثين مليوناً في بضع سنوات . ولم تكفه اميركا بل قصد انكلترا وابتاع بواخر بعض الشركات التجارية لكي لا يبقى الاميركيون معتمدين على الانكليز في نقل بضائعهم

وهو من كبار المحسنين دفع ٢٧٠ الف جنيه لبناء مستشفى الولادة في نيويورك ومئة الف جنيه لانشاء مدرسة للتجارة في نيويورك ايضاً وستين الف جنيه لبناء دار الاسقفية فيها

وخمسة آلاف جنيه لانارة كنيسة مار بولس في لندن بالنور الكهربائي

وله ولع شديد يجمع التحف ابتاع صورة من تصوير غابنيسرو المصور الانكليزي بثلاثين الف جنيه وهي المعروفة بصورة "دوقة ديفنشير" وابتاع صورة أخرى من تصوير رفايل بنحو مئة الف جنيه وهو اعظم ما دفع ثمن صورة واحدة في ما نعلم. وكلما اتى الى اوربا ذهب الى فرنسا واقام اياماً في نورمدي يزور الفلاحين في بيوتهم ويبتاع منهم اشياء صغيرة باثمان باهظة يرى لوحاً منقوشاً عند امرأة فلاحة فيقول لها بكم تبعين هذا اللوح فتقول ليس للبيع فيقول لها كم يساوي فتقول لا يساوي شيئاً فيقول ولكني اريد ان اشتريه فتقول له لقد اخبرتك يا موسيو انه ليس للبيع فيضحك ويقول لها هذه الف فرنك فهل تعطينيها بها فتأخذها وهي لا تصدق ما ترى بعينها

الى هنا انتهى ما يقع الاجماع على انه ممدوح لا غبار عليه لكن الاعمال المالية لا تقتصر على ذلك بل فيها ما يختلف الناس في تصويبه مثل ذلك ان العمال في مناجم اميركا يكونون من حزب الاحرار ما داموا آخذين في العمل فاذا اعتصبوا انضموا الى حزب الديموقراط. ولما كانت الانتخابات الاخيرة كان عمال المناجم معتصبين فطلب حزب ماكنلي من المستر مورغان ان يسعى في التوفيق بينهم وبين اصحاب المناجم لكي يعودوا الى حزب الاحرار فاستدعى اصحاب المناجم واصلح بينهم وبين العمال وارسل سماسرته في غضون ذلك ليبتاعوا له كل سهم يقدونه من اسهم مناجم الفحم عالمياً انه لا بد له من ان يفلح في التوفيق بين العمال واصحاب المناجم فترتفع قيمة هذه الاسهم بعد هبوطها فكان كما توقع ورج بضة ملايين من الريالات وهو يسعى في التوفيق بين الناس

المستر شواب

نجد بين ارباب الاموال كثيرين شبوا ودخل الواحد منهم بضة غروش في اليوم وشاخوا ودخل الواحد منهم الوف من الجنيهات ولكن لم يذكر في تاريخ الامم ان اجيراً يعطى خمسة وعشرين جنيهاً في السنة ثم تزيد اجرتة رويداً رويداً حتى تبلغ مئة وستين الف جنيه وتصير له ثروة تقدر بملايين الجنيهات اي تصير اجرتة اعظم من راتب خديوي مصر وثروته اعظم من ثروة كل اغنيائها وهو لا يزال وكيلاً على اشغال غيره ولا يزال في عنفوان الشباب. هذه حال المستر شواب وكيل المستر كارنجي

قلنا في ترجمة المستر مورغان انه الف شركة من شركات الفولاذ رأس مالها ٢٢٩ مليون جنيه وانه ابتاع حقوق كارنجي فيها باربعين مليوناً من الجنيهات فلما نفخ كارنجي عن العمل

طلب ان تعطي الادارة العامة للمسترشواب واقترح ان يكون راتبه السنوي ١٦٠ الف جنيه
فكان كما طلب

وعمر المسترشواب الآن تسع وثلاثون سنة وبين الرجال الخاضعين لادارته شيوخ وكهول
عركوا الدهر واداروا الاعمال الكبيرة حينما كان طفلاً يرضع اوفى بتعلم. ولد في قرية صغيرة
سنة ١٨٦٢ وكان ابوه يعمل في احد معامل الصوف وانتقل به الى قرية اخرى اسمها لورتو



وعمره عشر سنوات وهناك دير لراهبات الرحمة فاحببته وعلمته وقام في نفسه ان لا بد له من
ان يتعلم الهندسة ويصير مهندساً فدرس العلوم الرياضية واتم دروسه سنة ٨٨٠ وكان ابوه
قد قاول ادارة البريد على نقل البوسطة الى لورتو فجعل ابنه يحمل كيس البوسطة ويوزعها
ويساعد الفلاحين في اعمالهم ويستعين بذلك على معيشته. واحبه الفلاحون والرهبان والراهبات
لوداعته واجتهاده فلما اتم دروسه في المدرسة رأى ان لا بد له من مغادرة تلك القرية والآن
اضطر ان يدفن علمه ومواهبه فيها فودع اهله اسفاً ونضى الى مكان فيه مسبك من مسابك
كارنجي عازماً ان يدخل فيه عاملاً ولكنه لم يكن يعرف احداً فيه ولا كان معه كتاب

توصية الى احد وبعد اللتي والتي دخل دكان بدال (بقال) صانعا وجعل يبيع عنده السكر والشاي والبن وما اشبه وقد استفاد من ذلك فائدة كبيرة لانه عرف اثنان الحاجيات واتفق ان اتى الى هذا الدكان رجل من مديري مسبك كارنجي يشتري شيئا منه وراه شواب وكان يعرف من هو ويتمني ان يتاح له التكلم معه فقابله وافنتج الحديث معه بقوله ما احتر هذا النهار . فقال الرجل نعم الحر شديد هنا ولكنه لا يطاق في المسبك فقال شواب ولكن ما اعظم الفرق بين المسبك وبين هذا الدكان اواه لو اخذتني الى المسبك . فسر الرجل بهذا الكلام وقال له انت فتني فماذا تريد ان تصير لو دخلت المسبك فقال اريد ان اصير مهندساً ميكانيكياً . فقال وهل تعلمت العلوم الرياضية اللازمة لذلك فقال نعم تعلمت كل ما يلزم . فقال وهل تقدر على دق الاوتاد . فاجاب اقدر على دق كل شيء . فقال وهل تقبل ربالاً في اليوم اجرة . فاجاب اقبل اية اجرة تعطيني اياها . وكان ذلك سنة ١٨٨١ بعد ان اقام في دكان البدال ستة اشهر . فاقى به الى المسبك وجعل يعمل كل ما يطلب منه عمله بدقة وهمة واعناء . ولم يمض عليه ستة اشهر في المسبك حتى تمرن على كل الاعمال وارى كل من فيه انه رجل همة وعزم وتفان في اتمام الاعمال من غير انتظار الاجر او الشكر . وفي ذلك المدير الى منصب الادارة العامة في المسبك فجعل مديراً بدلاً منه فادار المسبك بهمة لا تعرف المثل ولا تكل من التعب وارثي رويداً رويداً حتى صار مديراً لا عظم شركة صناعية وجدت في المسكونة — لشركة رأس مالها ٢٢٩ مليوناً من الجنيهات كما تقدم وربحها السنوي عشرون مليوناً

ان من يقرأ السطور المتقدمة يرى في ارتقاء هذا الشاب من اجير صغير اجرة نصف ربال في اليوم الى مدير كبير اجرة ١٦٠ الف جنيه في السنة طفرة تكاد تكون من ضروب السحر او من انواع الخوارق لانه قد لا يعلم ماهية الكفاءة ولا كيف يقدرها اصحاب الاعمال قدرها . اما المستر كارنجي صاحب هذا المسبك فرأى ان الشاب مستوفٍ للشروط التي يطالبها في من يدير اعماله رآه سريع النظر سريع العمل سريع التغلب على المصاعب كبير الهمة واسع الخيلة لا يعجزه شيء ولا يقعه شيء . ومن مذهب المستر كارنجي ان الشبان الممتازين على غيرهم بالمواهب يجب ان يفتح امامهم المجال الواسع لاستعمال مواهبهم ويميزوا على غيرهم . وقد قدر لهذا الشاب ان يفلح في كل عمل يتولاه ولكن دخوله معامل كارنجي فتح امامه مجالاً للنجاح لا يجده في غيرها وكانت تلك المعامل في بدء عملها والطلبات تنهال عليها من كل فج وكان عليه ان يديرها ويتولى امر توسيعها بانشاء المسابيل الجديدة فانشأ تسعة منها تولى رسمها بيده

فاعرب عن مهارة فائقة في الهندسة الميكانيكية والادارة العامة وبواسطته أُدخلت اصلاحات كثيرة حتى سهّل على شركة كارنجي ان تنظر شركات الفولاذ في اميركا وفي اوربا ايضاً ولما رأت الشركة منه ذلك جعلته رئيس مهندسي قسم من معاملها ومديراً له واشترك مع المدير الاول الذي جاء به الى المسبك في استنباط اسلوب لمزج المعادن اشتهر به اسمها وربحاً منه ربحاً طائلاً . وسنة ١٨٨٧ عُرض عليه ان يكون مديراً للقسم الاهم من معامل كارنجي فرأى هناك اوسع مجال لمهارته فاصلح آلات المعمل واساليبه حتى صار اقوى معامل الفولاذ كلها كما انه اكبرها

وكانت الحكومة الاميركية قد طلبت من شركة كارنجي مراراً ان تصنع لها صفائح الصلب لتصفيع مدرعاتها فابت لانها رأت ذلك مما يتعذر عليها القيام به فلما اعطيت الادارة للمسترشوب ذاكر المستر كارنجي في هذا الموضوع واقنعه ان اجابة طلب الحكومة من الممكنات اذا كانت تطلب كمية كبيرة تفي بنفقات التجارب اللازمة للقيام بهذا العمل فاجيب طلبه ولم يمض وقت طويل حتى صارت شركة كارنجي اعظم الشركات لعمل صفائح الفولاذ للمدرعات الاميركية والروسية . ويعوزنا الوقت لو وصفنا التجارب التي جربها والمشاق التي تكبدتها للوصول الى هذه الغاية وفيها الف دليل على ان نجاح هذا الرجل لم يكن نتيجة الصدفة والاتفاق بل نتيجة الهمة والتعقل

وتوفي مدير المسابك سنة ١٨٨٩ فجعل مديراً عاماً بدلاً منه ثم دعت الحال الى جعله مديراً للمعامل والمسابك معاً وعمره ثلاثون سنة فتولّى ادايتها كلها وفيها الوف من العمال ويخرج منها كل سنة ملايين طن من الفولاذ فسهل على المستر كارنجي ان ينقطع للمطالعة والانشاء والسفر والزهة وهو عالم ان معاملته ومسابكه تدرّ عليه ملايين الجنيهات لانها في يد مدير حكيم هام . وظل هذا الشاب يرتقي في اعتبار الشركة حتى جعل رئيساً لها واخيراً جعل مديراً للشركة الجديدة التي انشأها المستر مورغان من شركة كارنجي ومن سبع شركات اخرى كما تقدم وقد يظن القارئ ان هذا الرجل اضاع عمره في خدمة مستخدميه فنجحت اعمالهم باجتهاده ولم ينل منها غير الاجرة التي يتقاضاها سنة بعد سنة ولو بلغت الوف الجنيهات وانه رأى الارباح تزيد بسعيه وهو مكتفٍ بمدح الشركاء له واجماعهم على زيادة راتبه . الا ان ذلك امر لا يفعله الا كل خامل الذهن زاهد في الدنيا معتقد ان المال كثيره وقليله مجلبة للشقاء اما المستر شواب فلم تبلغ منه سخافة العقل هذا المبلغ حتى يرى ابواب الكسب امامه ولا يلجأ بل كان يبتاع باجرته اسمهما من اسمهم شركة كارنجي حتى بلغ ما عنده منها حينئذ انضمت

الى سائر شركات الفولاذ ١٨٩٢٩ سهماً تساوي قيمتها الاصلية ٨٠٠, ٧٨٥, ٣٠٠ جنيهه وتساهل قيمتها الآن نحو تسعة ملايين من الجنيهات اي ان صانع البدال صار من كبار الاغنياء باجتهاده الذي اغنى به غيره وقد كانت اجرتة وهو صانع عند البدال خمسين غرشاً في الاسبوع فصارت الآن ٣٢٠٠ جنيهه في الاسبوع ولم يكن يملك شيئاً فصار يملك نحو تسعة ملايين من الجنيهات وله ايضاً ثلاثة قصور نفيسة انفق على واحد منها ٧٥ الف جنيهه . وان شئت ان تعرف رأيه في سبب نجاحه فاسمع ما قاله في هذا الصدد

” سألني البعض ما سبب ارتقائي حتى صرت آخذ ثمانية الف ريال في السنة بعد ان كنت اخذ ريالين ونصف في الاسبوع . وحققاً اني لا اعرف السبب . ما من احد نجح بالصدفة او بالتوفيق . اذا لقيت رجلاً يقول انه لم ينجح لعدم التوفيق فاعلم ان التوفيق الذي عديمه هو الشيء الخفي اللازم للنجاح . وكثيراً ما يخطر ببالي ان هذا الشيء الخفي هو اندفاع الانسان الى الاعمال الشاقة واقتداره على عملها

” يدخل ابن الغني ميدان الحياة مغلول اليدين لانه يرى حوله من المال ما يغنيه عن التعب والكدح ولانه لا يعرف قيمة لما عنده لان قيمة الشيء على حسب التعب الذي يبذل به . وما نفع على نيله كثيراً تزداد قيمته في عينيك عشرة اضعاف

” واني احسب ان اول نعمة انعم الله علي بها هي انه خلطني فقيراً . فان الصفات التي بُني عليها نجاحي هي نتائج المشاق التي لقيتها في حوادثي والاضطرار الى الكدح والافتصاد وانكار الذات . ولا ابدل الاخبار الذي يكتسبه الولد من الفقر والمشاق باي مبلغ كان من المال لاني اكون قد نزعته من الاساس الذي بني عليه نجاحه

” ولقد عرفت قيمة الريال وانا في السن الذي يدل فيه الاولاد ويرفون . عرفت ما يقتضيه من التعب وما يجلبه من الراحة والرفاهة . وانا عالم الآن كم بذلت من المشقة في كسب كل ريال كسبته . ولا يضع علي المرء تعباً ولو تأخر جزاؤه

وفي سيرة هذا الرجل صفحة أخرى لا يصح الاغضاء عنها . لما كان فتى يتعلم في مدرسة لورتوا حب فتاة فقيرة مثله واحبته هي كما احبها وعزم ان يبذل كل ما في وسعه ليكتسب ما يمكنه من الاقتران بها والسكنى معها في مدينة من المدن بعيداً عن الجبال . ولما دخل دكان البدال صانعاً ولم يجد امامه ما يحقق هذه الامنية بقي يكتب الفتاة التي احبها وتكاتبه حتى اذا دخل المسبك وصار عمره ٣١ سنة وصار راتبه كافياً لمعيشته ومعيشتها اقترنت بها وكان ذلك سنة ١٨٨٣ وزيدت اجرتة في العام التالي الف جنيهه في السنة ومن ثم اخذت

اجرتُهُ في الازدياد وثروته في النمو حتى بلغنا ما ذكرناه آنفاً وهو كاثوليكي المذهب وقد جازى الرهبان والراهبات الذين علموه في حداثته بيناء الكنائس والمدارس ولم ينسَ بلدة لورتو التي قضى فيها ايام الصبا فانشأ فيها قصرًا فاخرًا ونورها كلها بالنور الكهربائي ووسع نطاق مدرستها وهو يلجأ اليها كلما اراد الراحة من عناء الاعمال

(١)

الجذام

سادتي الافاضل اعرض على مسامعكم مشاهدة طبية جزيلة الفائدة شاهدها في معالجة مريض مصاب بالجذام

جاءني هذا المجدوم في ٢ اكتوبر سنة ١٩٠٠ وطلب مني ان اعالجه من هذا الداء الخبيث وهو مولود من ابوين سليمين وسنه نحو ٥٠ سنة واقامته في محل ولادته بقرية من قرى مديرية الغربية

قال لي انه كان متمتعاً بصحة جيدة الى ان بلغ السنة الثامنة والثلاثين من العمر وحينئذ ابتدأ يحسّ بخدر في يده اليسرى ثم في الطرف الاسفل الايمن فاشير عليه بفتح حمصة في هذا الطرف ويتعاطي العشبة ولكن هذه الوسائط لم تأتِ بفائدة ثم ظهرت حبوب في وجهه بعد خمس سنوات

وهو متزوج بامرأتين وله منهن اربع بنات وابنان والبنات تزوجن وولدن اولاداً وعمر اصغر ابنيه تسع سنوات ولم يصب احد من عائلته بهذا الداء مع انه مقيم معها في منزل واحد فبقيت امرأتاه سليمتين وكذلك بناته ورأيت ابنيه فوجدتهما سليمين

وكان المصاب قوي البنية قبل ان اصابه الجذام وصار ضعيفها الآن وتغيرت سخته فظهر في وجهه درن مختلف الحجم اصغره في حجم العدسة واكبره في حجم البندقية وشكله مختلف ولونه احمر قاني وفي درنتين منه ماء لونه اردوازي

وفي جلد وجهه ارتشاحات يضاء وثنيات عميقة في الحاجبين وما يحاورهما من جهة الجبهة . فاجتماع هذه التغيرات في الوجه جعلته اعرض من اصله واعطته هيئة مخصوصة تعرف بهئة وجه الاسد

(١) من مقالة تلاها سعادة الدكتور حسن محمود باشا باللغة الفرنسية في الجمعية الطبية بالخراسة في

ورأيت درناً في جلد الاطراف العليا والسفلى والصدر والظهر وقد حصل لين ونقرح في الدرن الذي في اصابع اليدين امتد الى الاجزاء الرخوة كالجلد والعضل والاورار ولكنه لم يصب عظامها واتجه بعض هذه القروح نحو راحتي اليدين وتكون منها اثر التهام ايض في بعض اجزائه وملون في البعض الآخر وتسبب عن هذا الالتحام انتشاء الاصابع نحو الراحة وقصر اطرافها السفلى بسبب ضمور اجزائها الرخوة وكان على سطح جلد الاطراف لطح طول البعض منها ٦ سنتيمترات وعرضها ٣ سنتيمترات وسعكها ٢/١ سنتيمتر ولونها احمر قانيء كلون الدن وجلدها متين وسطحها مستوي وسميت هذا الشكل بالجذام اللطخي

وبالبحث في جلد المريض في الجذع والاطراف وجدت بعض اجزاء منه فاقدة الحس ووجدت ايضاً بقعاً ذات لون ابيض واخرى ذات لون اغمق من جلد باقي الجسم وزال بعض شعر الاجفان والحاجبين والشاربين واللحية وتغير لون بعضه واما شعر فروة الراس فبقي على حاله

ولم تقتصر آفة الجذام على الغلاف الجلدي بل امتدت الى الغشاء المخاطي المغشي للاحشاء فشاهدت لطحاً وحبوباً على الغشاء المخاطي المبطن للسان والشفيتين وسقف الحنك والحلق وغشاء المتحمة المخاطي في العين اليسرى وكانت لا تبصر واخبرني اخي الدكتور علوي بك وكنت قد ارسلت المريض اليه ليبحث في عينيه انه مصاب بالتهاب مشيمي مزمن مع ضمور في العصب البصري وكان المريض ضعيفاً جداً حتى انه يجرح رجله جرحاً عند المشي . هذه هي الظواهر المرضية التي شاهدتها فيه

المعالجة — عالجته بزرنيخات الصودا وزيت الشالموجرا فوصفت له محلولاً من ١٠ سنتجرامات من الزرنيخات في ٣٠٠ جرام من الماء المقطر يؤخذ منه ملء ملعقتين كبيرتين في اليوم . واعطيته زيت الشالموجرا اولاً من ٦٠ الى ١٠٠ نقطة في اليوم . ثانياً حقنته تحت الجلد بسنتيمتر مكعب كل يومين مرة مع مس الدرن والطح بصيغة اليود كل ثلاثة ايام مرة فتحسن حاله وهبط كل من الدن والطح وعادت قوة المريض نوعاً وعادت ايضاً شهيته للاكل فصار يأكل كل يوم رطل لحم ثورياً وبيضاً وخضراً . ولما وجد ان حالته تحسنت عاد الى بلده منذ ثلاثة اشهر ولم اعد اراه

وقد استنتجت من مشاهدته ومن مشاهدات أخرى غيرها النتائج الآتية وهي اولاً انه يوجد ثلاثة اشكال من الجذام وهي الدرني واللطخي والفاقد الاحساس ثانياً يمكننا القول ان الجذام ليس وراثياً لان هذا الرجل وغيره من المجذومين الذين

عاجتهم لم يولدوا من آباء مجذومين ولا اورثوا الجذام لاولادهم
 ثالثاً ان الجذام غير معدي على الاقل في مصر لان زوجتي هذا الرجل لم تعديا منه
 وكذلك اولاده والذين كانوا معه في المستشفى لم يعدوا منه وابنه الذي ولد له بعد ما أصيب
 بالجذام لم يصله الجذام بالارث ولا بالعدوى
 وقد جربت نقل الجذام بالتلقيح فلم ينتقل وقرأت بعد كتابة ما تقدم ان غيري جرب
 نقله بالتلقيح فلم ينتقل
 حسن محمود

مزار الحشيش

الحشيش او الحشيشة آفة من الآفات التي آلت بالشرق ومورد من موارد الثروة في
 الكثير من انحاء فهو آفة باعتبار المادة المسكرة المخدرة التي شاع ذكرها وعمت لسوء البخت
 معرفتها في هذا القطر يؤخذ من نبات يعرف بالحشيشة او حشيشة الفقراء او الشهدانج او القنب
 الهندي وهو من موارد الثروة باعتبار ما يقتل منه خيوطاً وحبالاً وينسج النسيج منها الاكياس
 المعروفة . وباعتبار الحشيش المسكر المذكور يصنعونه خفية ويلجأون الى ضروب الخيل والتستر
 والخداع وطلب المنافذ الى المدن بعيدة عن رقباء الحكومة طمعاً بما يتناولونه من اثمانه الباهظة .
 والقنب انواع منها ما ينسب الى آسيا وهو مثل الاوربي المعروف باللاتينية بكتابس ساتيفا
 لكن الجواهر الفعالة فيه اكثر منها في النوع الاوربي وهو اهم انواعه في بحثنا لما يؤخذ منه من
 الحشيش المسكر

والاصل في الحشيش المخدر المسكر ان يؤخذ من زهر القنب الهندي او من اطرافه
 الزهرية ومن الشريطين من يتعاطى ورقه بل شاع استعمال الورق عندهم فعصروه او طبخوه او
 عجنوه او تناولوه مع اللوز او الفستق او السكر او الخشخاش او غير ذلك فاصطنعوا منه انواعاً
 والواناً تختلف باختلاف المكان والزمان فمن ذلك عصير يستحضرونه بان يمرثوا الورق في الماء
 ومنه تقيع البزر الاخضر ومنه صمغ راتنجي (دهنه) يجمعونه على سيور او قد من الديغ
 يسرون بها في مزارع القنب فتلتقط من الورق ورؤوس الاغصان مادة غروية هي الصمغ
 الراتنجي المذكور يصنعونه حبواً صغيرة ومنها نوع يستحضرونه في بلاد العم وهو عصير الورق
 بهرسونه وبعصرونه في نسيج صفيق ويستحضرون من الحشيش معاجين او انواعاً من اللعوق مركبة
 منها معجون دواء المسك المعروف عند العرب يأخذون له شيئاً من ورق الحشيشة ومن زهرها

ومن ثمر المسك العطري يطبخونه بالسمن ويضيفون اليه بعض الخلاصات او الارواح وهو عديم من انواع الحلوى بأكلونه . ويعرف بالتميرة في مصر يتعاطون دخانه في التراجيل او يضيفونه الى التبغ

والحشاشين في مصر اما كن خاصة بهم يختلفون اليها تعرف بالمحششات او قهاوي الحشيش ويتعاطاها معظمهم فيها دخاناً فيجتمعون حلقة ويدور عليهم صاحب المحشة بجوزة فيها الحشيش فيتناوبون الشرب واحداً بعد الآخر دوراً او اكثر الى ان يستنزفوا ما في الجوزة من الحشيش ويسمون ذلك تميرة يردفونها بتميرة اخرى فتالته الى ان تنال ادمعتهم منه الكفاية . وقد منعت الحكومة المحششات او حظرت على اصحابها بيع الحشيش والتعميرات وثبتت تجارة الذين يستوردونه ومنعت زراعته فضررت على كل ذلك انواع العقوبات ولم تقو على استئصال علته الخبيثة . فالحشيش موجود في مصر ولا يزال اصحاب المحششات يدورون بتميراتهم على جماعات من الحشاشين وفي بلاد العرب وبعض انحاء الهند مثل المحششات او ما يقوم مقامها ومثلها في الهند الصينية ايضاً يتعاطون الافيون بدلاً من الحشيش

وعادة التحشيش قديمة في مصر قيل اتصلت اليها من الهند وقيل من بلاد المجمع فالعراق فبلاد الشام فمصر وقيل غير ذلك وقد شهدها المليونون وذكرها حسن بن صباح الهواري وجماعته في اخبارهم وعرفوه بشيخ الجبل وقالوا انه توسل بالحشيش الى التسلط على جماعته وخبره مشهور وتمكن التحشيش في مصر بتوالي الحكم بين راغب فيه مريد له يتسابق اليه في عهده الرفيع والوضع فيعدونه من التحف وانواع الترف ويبالغون في مدحه ووصف محامده ويتبرغمون بذكر ملاذه ويقولون فيه الاشعار وبين من ياباه وبضرب انواع العقاب على من تعاطاه ومن هو لاء الامير سودون الشينوني قيل انه تتبع الحشاشين ودمر مزارع الحشيشة في نواحي مصر في نحو سنة ٧٨٠ للهجرة وشدد عليها العقاب . ومن قال فيها شعراً احمد ابن محمد ابن رسام الحلبي فقال

ومهمف بادي النفار عهده
فرايته بعض الليالي ضاحكاً
فاجابني لا تشكرن خلأني
فحشيشة الافراح تشفع عندنا
واذا هممت بصيد ظبي نافر
فاجهد بان يرعى حشيش القنبس

اما جواهر الحشيشة الفعالة فلم يتصلوا الى ادراك حقيقتها والتدقيق فيها وحدها ما اتصلوا

الى استخراجها منها نوع من الراتنج سماه بعضهم حشيشين من لفظه حشيشة وسماه غيرهم قنايين من لفظة قنب وهو اسم اللون لا يذيه الماء ولا تحله القلوبات ويحل في الكحول والاثير والزيوت واستخرجوا غير ذلك الى ان وقع بربو براشسكي على مقدار وافر من النيكوتين في الحشيشة وهو المادة السامة الموجودة في التبغ وذلك مما يسهل عليهم ابحاثهم في خصائصه المخدرة ولعلمهم يتوصلون به الى حقيقتها

وانثار الحشيش في الانسان بينة جلية واول ما يصاب به حديث العهد في تعاطيه ان يقبض منه الصدر وتدور منه النفس الى الغثيان علي مثل ما يصيب شارب التبغ لاول شربه له وقد بقي ويسرع قلبه في حركته ويؤثر الحشيش في الدماغ والاعصاب والعضلات وجهاز الهضم وغير ذلك من الاعضاء مما لو سلم معه ما بقي من البدن لما بقي للبدن من السالم ما يقوم به او يكون به انساناً فهو يمسخ الصور ويشوه الملامح وتسفل به الاخلاق الى ان يحل دماغ الحشاش والمخير من كل ذلك الى العته او الجنون ثم الموت . فالحشاش يناله من الحشيشة كما تعاطاها ان يحل دماغه وقد يحقن ولذلك اعراض من الهذيان مضحكة من فرح او طرب في الغالب وقد يستشيط او يهيج بعض الاحيان . ومما يحل بالحشاش من اعراض التحشيش النارقة ان لا يدرك بعداً فقد يبصر القمر فيتناول بيده اليه ويقبضه ويشد القبض عليه لئلا يفله ويحقد بنظره اليه فيراه في قبضته ومنها انه لا يدرك للوقت حداً فيحسب ان امه ولدته منذ قرون فقد يقص عليك واقعة كانت له مع صديقه هارون الرشيد او آدم ابي البشر ومن الاعراض المذكورة ان يتخيل للحشاش ان جسمه من الخفة على جانب عظيم وليس له ثقل يدرك فهو يطير اذا شاء فقد يلقي بنفسه من نافذة او عن شرفة مرتفعة ويسقط ذراعيه كجناسي طائر يطير فيعتمد على الهواء او على عبيده ورهيني امره واشارته في كل حين وان من المردة والجان فيحملونه الى حيث شاء وكيفما شاء فربما وضع السبابة وحدها من اصابه تحت بطن حمار او بعير او ما هو اكبر من ذلك ورفع يده وركض واصبعه رفوعة تركض امامه وهو يرى الحمار او البعير عليها ويقول لك انظر . ومن باب هذه الاعراض ما يتخيل للحشاش من الصور والاشباح مما انطوت ذاكرته عليه من اشخاص عرفهم او حوادث طرأت عليه في سابق ايامه فيراها اعياناً او اجساماً حقيقية تأس وتتحرك وتتكلم . او يرى بجراً يسبح فيه او يجنازه وهو في غرفته وعلى قارعة الطريق او هو يرى الاشباح الهائلة المريعة ترتعد لها فرائصه وقلما يراها او يهيج ويشرس الا اذا تأثر عقله لامر كان يشغله او تناول من الحشيش كمية وافرة الى غير ذلك من الصور الغريبة والخيالات المتضاربة العجيبة مما يعقبه النعاس ثم الرقاد

ثم ان لامبال الحشاش واذا وقع شأناً يذكر في نوع ما يرى من مهيج مخيف او مفرح لطيف . فهو اما ان يرقد بعد هياجه هنيئاً مريباً وقد زابله الهذيان كأن لم يكن للحشيش فيه اثر ثم يستيقظ على احسن حال وقد يتذكر كلما تمثل له من الخيالات لا يفوته منها شيء فقط . وقد يرقد ويستمر على هذيانه طرباً في الغالب ولكل من حواسه خيال يتمتع منه بلذة فيطرب لضرب عود يسمعه او عزق مزمار او صوت رخيم ينشد أبدع الاناشيد او يتناول من المأكول اطيبها واشهبها او يتناول من وسادته او طرف ثوبه شيئاً يتفنن في مطارحته ضروب الغزل والحب والهوى واذا تناول من الحشيش كمية وافرة كان في الغالب شرساً في هذيانه هائجاً يأخذ منه التحذير كل مأخذ ويبادر اليه السبات ثقيلًا فيفعل الحشيش فيه فعل الكحول وورم فيستغرق في نومه . لذلك استعمله الصينيون استعمالنا للكحول وورم لتنويم العليل للاعمال الجراحية . فيستيقظ وقد اضى التعب قواه العضلية والعقلية ويستمر على هذه الحال اياماً

وقد خبر بعضهم تأثير الحشيش الفيسيولوجي في خنزير الهند (الكوبي) من الحيوانات فتبين لهم ان الحيوان المذكور اذا تعاطى غراماً الى غرام ونصف استرخى ونعس وتحير في حركاته واقشعر بدنه اقشعراراً يشتد به لافل مؤثر يؤثر فيه تهيجاً وبقي له حسه ثم مان لثلاثة او اربعة ايام من تعاطيه الحشيش فينحصر تأثير الكهربية في عضلاته ولا تؤثر في اعصابه . فشرحوه ووجدوا ان الاحقان قد اصاب دماغه واغشية دماغه وارتشخ شيء من دمه الى اغشية الدماغ والبلبورا واحتقنت رثاه . وما ظهر لهم من اعراض التسمم المزمن في الكوبي نقص بدا لهم في ثقله واضطراب مؤخر جسمه في حركاته وهزاله وما الم به من الاسهال

خلاصة القول

ان الانسان اذا تعاطى الحشيش اغل دماغه وعضلاته واخزل جهاز الهضم من بدنه فيطلب الاكثار من الطعام اذا تعاطى القليل من الحشيش وبأباه اذا تعاطى الكثير منه الى غير ذلك . ومن سمه الحشيش تسمماً حاداً عاجلوه بالحوامض والستر كنهين اما الشاي والقهوة فيزيدان فعله قوة . هذا واذا استمر الانسان على تعاطي الحشيش تغيرت هيأته وانقلب سجنه واصفر لونه اصفرار المصاب باليرقان وكان ابله شرساً ظاهر البلادة قليل الشعور ضعيف العضل وظهرت علامات ذلك كله عليه واضحة جليلة وتحير في حركاته وفقد شهية الطعام بل تلفت فئاته العظمية الى غير ذلك من الآفات تلم به الى ان يصاب بالعمه او الجنون وبالهزال والشلل فيموت . نسأل الله ان يلطف بعباده ويقهم شر هذه الآفة وما بها تب عليها من سوء المصير

الدكتور توفيق صوصه

اساطير الاولين

من العلماء العصريين من زعم ان عباد الوثن ليس لهم دين بل دينان احدهما الاساطير وثانيهما الديانة

والاساطير في اللغة جمع اسطورة للحديث المدون كذباً وهي كلمة تنطبق على لفظة مثولوجيا اليونانية المركبة من كلمتين مثنوس بمعنى اسطورة ولوغوس بمعنى كلام فهي اذا عُرِّبت حرفياً كانت كلام في الاساطير ويراد بها التعليم الذي يبحث فيه عن عقائد الوثنيين القدماء والافاصيل الموضوعة عن معبوداتهم وما وراء ذلك من الاسرار والرموز

وكان الوثنيون يستفيدون من تلك الاساطير الوقوف على اخبار اوثانهم وما يتخللها من الافوال للتجلية بأدابهم والافتدائ بما يستطيعون من فعالهم او تجنب ما يسيء تلك المعبودات ويدنبون لطقوس ديانتهم توصلاً لمرضاها

والوثن في اللغة العربية ما يُعبد من دون الله ويقال للوثني في الفرنسية Païen وبالانكليزية Pagan وكلاهما مشتقان من كلمة Paganus اللاتينية وهي بمعنى فلاح على ان الكلمة اللاتينية لم تكن اسم الوثنيين في عصورهم بل هي من اوضاع النصراني حين استفحال امرهم وغلبتهم الوثنيين على السيادة في الرومان فكان من دان منهم بالنصرانية اتسم بها ومن ظل على الشرك وعبادة الوثن لجأ الى الجبال العجم واتخذها مقراً مبتعداً فيها عن السلطة المسيحية فغلب على هؤلاء اسم الفلاحين ثم صار علماً للوثنيين

ومن رأي بعض الباحثين ان القوم في بادىء امرهم كانوا يعبدون الله تعالى ثم كرت عليهم العصور فغفوا وضلوا سواء السبيل وشرعوا يعبدون ما يرونه عظيماً جليلاً ولا يفقهون لعظمته شيئاً كالشمس والقمر والنجوم والجبال والانهار والاشجار وبعض الحيوان والانسان وكانوا يكثرون من المعبودات بنسبة ما يرون من عظمة الموجودات حتى تعددت عندهم الاوثان وتنوعت الا ان اليونان والرومان اخذوا تلك العبادة وحصروها في اوثان مثلوا بشراً

وكأني بهم انما عددوا معبوداتهم تأليهاً لفضائل بعض نوابغهم على انه بقي لهم رأي في التوحيد ولكن طمس عليه الدهر ولم يبق الا في صدور بعض كهانهم يؤيد هذا ان بعض النوايع من حكماء الصين والهند وفارس ومصر واليونان قالوا بالوحدانية ان لم يكن صريحاً فتليهاً ولاخفاء ان لعماء الغرب عناية في استيضاح خفيات الدهور ولذلك فانهم بذلوا جهد المستطاع في دراسة المؤلفات القديمة استجلاء لعقائد الامم السالفة ليتم لاهل التاريخ الاطلاع

على شؤون الذين عمروا الكون من قبل وجمعوا شوارد الاخبار عن هاتيك المعبودات وبقوا عن تواريتها وخصوها حتى ظهرت لهم علاقتها مع آداب القوم وصناعاتهم وفلسفتهم فاصبح الكلام فيها لهذا اليوم علماً قائماً بذاته لما اتخذوه في سبيل الوصول اليها من الطرق الفلسفية وناهيك بان لهذا العلم فائدة يرتاح اليها الآخذون خصوصاً بعلم فلسفة التاريخ لما فيه من استجلاء غوامض الاديان الوثنية

ولقد كان القوم حتى قبل منتصف القرن التاسع عشر يقرأون اقايصص المعبودات لاسيما اليونانية منها فيحسبونها خرافات اولدتها مخيلات الشعراء تزييناً لكلامهم او ايجاداً لموضوع تجول فيه سوابق افكارهم او انها من ترهات كهانهم يخرقون بها على عقول عامة الناس وناهيك باوهام العامة وجهلهم ولكن ما عثم العلماء ان ازجوا اليها ركاب البحث لما وجدوا لها من المقام العالي في مخيلة الشعراء والمخاتين الذين ظهرت ابداع نتائج قرائهم وازاميلهم في تمثيل بعض هاتيك المعبودات والالام باقاصيها فلما انعموا فيها نظراً دقيقاً وسبروا غورها بمسبار العلم العصري وجدوها ذات معانٍ دقيقة تدل على مقام واضعها من الحكمة والسداد اذ تبين لهم ان منها ما تضمن من الحكم والدقة في معرفة طبائع الكون وحوادث الدهر ما يستوقف النظر وناهيك ببعض آدابها الغراء وما حوت ايضاً من صفات الالهوية والنفس البشرية ومعادها مما يظهرها للناقد العصري فذلكم العلم والحكمة ظاهرة في ثوب خرافي . فلما تبين علماء الفرنجة ذلك من بعضها سعوا في دراسة سائرها فادركوا مغزى معظمها وفقهوا سر وضعها وحسبوا ان عامة معتقديها لم يكونوا عارفين باسرارها وانما كانت الحكمة من واضعها على ان الكهان كانوا يتخذونها سبيلاً للمخرقة على عقول العامة حتى نأصلت فيهم بركور الايام ظواهر معانيها وعمت طبقات الامم ترهات اقايصصها

الا ان تعميم الاعتقاد بها من خاصة الناس وعامتهم وركون القوم الى تصديق ترهاتها بما كان يدسه الكهان من تحقيقها في الازهان لم يكن ليمتنع العقول السامية في مدى تلك العصور من ان تقف حيرى عن اعتقاد صحتها لما فيها من مخالقات العقل ولم يكن بالمستطاع يومئذ نشر افكار المشككين لما يحول دونها من قوة الكهان الهائلة ولان تشكيكهم لم يكن الا اتفاقاً لانتاج البحث العلمي على شاكلة ابجاث العلماء في عصرنا فظل المشككون في ربهم والمعتقدون على غوايتهم والتساهل في الامرين ضارب اظفاه على حد ما قال المؤرخ المشهور غبون في كتابه تداعي الدولة الرومانية وسقوطها ما عربته : لان سياسة القياصرة والملاء الاعلى (السناتو) من حيث الديانة كانت لسعدهم موافقة لاراء المستنيرين من الامة ولما

اعتماده اصحاب الخرافات حتى ان القوم كانوا يعتبرون ضروب العبادات الجمة التي كانت شائعة يومئذ في العالم الروماني انها جميعها صادقة بينما يراها الفيلسوف منهم انها جميعها كاذبة ولكن ارباب الحل والعقد يعتقدونها جميعها نافعة وعلى هذا انتج التساهل لهم تبادل الاحتمال بل الاتفاق الديني اه

ومما وجد علماء العصر من خصائص هذه الاساطير انها جمعت بين الرموز والاقاصيص والمبادئ والعقائد والحقائق الدينية جمعاً جعلها كلها كتلة واحدة متداخلة الاجزاء يكاد يحار الراغب في تجريد بعضها عن بعض فهي لا يقصد بها نشر الاكاذيب عن المعبودات بل تنحو غاية اسمى الا وهي الافصاح عن طبائع الكائنات والمبادئ الادبية والآراء الدينية وكلها محوكة معاً ومنتزجة بوقائع كانت مفساة لتلك الاسطورة واما الرموز فان هي الا بمنجم طقوس ذات معان خفية يحار فيها اللبيب علي انه ليس بالمستحيل على علماء عصرنا ان يحلوها ويحلوها ليكشفوا اسرارها للناس

وليس في الامكان الوقوف عند القواعد العامة التي كانت تدعو لوضع تلك الاساطير فان الاسباب التي تحمل على وضعها تكاد لا تحصى الا انه يستفاد من آراء بعض الباحثين ان بعض الافراد كانوا يخدمون اوطانهم خدمة نصوحاً كأن يشترعوا لهم السنن او ينظموا الشؤون او يصمروا الامصار او يهاجروا بهم الى المواطن التي يختارونها او يسودوا فيهم ويحسنوا اليهم او يردوا عنهم الغارات او يأتوا غير ذلك من الاعمال الجليلة التي تعود على الامة بالخير والمجد حتى اذا قضى اولئك المحسنون وبقي ذكرهم في الامة حياً كافؤهم بتخليد اعمالهم وتأليه ذواتهم ابتغاء رفعهم فوق امثالهم من الناس وربما ادعوا لهم النسبة اسلالة الهية فيزداد بكمور الالام تذكارات فضلهم وتعلو حكاية اعمالهم عن مطابقة الواقعة المألوفة فهي الاسطورة مأخوذة عن التقليد تدون في القرطاس وتحفظ دهوراً

ولكن تأليه الافراد لم يكن كل مصادر الاسطورة والديانة بل ان ثمة مصادر اخرى لا تقل عن تلك شأنًا اريد بها الحوادث الطبيعية كنمو النبات وترتيب الكائنات وهبوب الرياح وقصف الرعد ولعان البرق واشتداد العواصف ونزول المطر والتلج وشروق الشمس وطلوع القمر ولعان الكواكب وجري الانهار وغير ذلك مما يجد الانسان من العظام في الانسان والحيوان والجماد كأنهم كانت تحار فيه الباهم فلا يجدون عنه منصرفاً الا اذا شفت غلثهم رواية اسطورة يتبدعونها

ولقد قسم بعض علماء العصر تلك الاساطير الى قسمين اولها التقليدي او التاريخي وهو

ما حوى وقائع القوم واخبار البحارين ومهاجرات القبائل وتمصير الامصار واعثلاء شوون
 بعض البيوتات المملوكة . والقسم الثاني الديني واللاهوتي وينطوي على العقائد بطباع الآلهة
 وعلم الآداب وتهذيب الاخلاق وبعض العلوم واخصها الفلكية الى غير ذلك
 الا ان هذا التقسيم غير مقبول عند جملة العلماء لما فيه من مخالفة حال الاساطير لان
 معظمها تحوي مزيجاً من مواضع شتى فيعسر الحاقها بالقسم المحسوبة منه الا تسامحاً
 ولقد عسر على الباحثين في نشأة الاساطير ان يتبعوا سيرها منذ تألفها ليفقهوا امرها
 هل تدرجت الى حالها تدريجاً جرياً على كثير من الشوون او برزت للوجود على طرزها
 المألوف وكذلك ما يرحوا يجهلون سر اندماج الرموز في اشعار الشعراء لاسيما وان الشعر اليوناني
 محوك بالاساطير حتى صار بها سدة ولحمة

وما ارتأى بعضهم ان تلك الاساطير ولئن كانت مبعث الشعر والنحت او سبباً فعالاً في
 تحسينهما وبلوغهما عند بعض الوثنيين مبلغاً عظيماً فانما هي السبب الفاعل في تأخرها عند
 آخرين ذلك لان الفنون الجميلة تقتضي مبدأ الحرية والاستقلال لبلوغ الغاية في العمل ولا
 حرية للشاعر اذا اراد ان يقتبس من الاسطورة حديثاً فانه يتقيد باوضاعها ولا يبق للخيالة
 الا مجالاً محدوداً كأنه الشاعر العربي في عصرنا هذا اذا تقيد بتقدي الشعراء السابقين
 عجزت مخيلته عن التوسع في الخيال فتجت اشعاره كأنها ظل القديم ليس عليها شيء من طلاوة
 الشعر ورونقه . ويحاكي الشاعر في تقيد النحّات والمصورّ فانهما يتقيدان بما في الاسطورة من
 الاوصاف فلا يستطيعان ان يطلقوا العنان لتصورها ناهيك ان التخمين في الصناعات يقتضي
 الذوق لاستحسان الجميل وهذا لا ينال الا في طلاوة الجديد وحسن الاختراع

ولكن ما عتم هذا القيد ان القي به بعيداً وابتعد ارباب الفن عن التقليد فثلوا كل
 اساطيرهم تمثيلاً بشرياً وجبوا اربابهم المذكورة فيها الهيئة الانسانية وخصائصها فشدوا بذلك
 عن الوضع الاول واصبحت الاساطير كأنها قسيمان قديم وحديث ولهذا قال هيرودوت المؤرخ
 ان الآلهة اليونانية من وضع الشعراء

وبين اساطير اليونان والامم الشرقية بوناً بما ترى من الخصاص البشرية في معبودات
 اليونان خلقاً وخلقاً بين ترى الرموز الطبيعية ظاهرة على افاصيص الشرق ذلك لان اليونان
 كانوا يتخذون الانسان قاعدة فيمثلون به كل شيء في الوجود

ومما ذهب اليه بعض الباحثين ان من الاساطير الاولى أخذت مبادئ الفلسفة وجرى
 عليها الحكماء بعد ذلك ولكن ردة عليهم بعضهم بان الآراء الواردة في بعض تلك الاساطير لم

تأتِ الا اتفاقاً والحكمة لم تأتِ الا بنت البحث والروية نعم انهم لا ينكرون حقيقة ظاهرة هي ان من اساطير بعض الامم المتمدنة كالكلدان والفرس والمصريين ما تحوي كثيراً من مبادئ الحكمة والسداد والعلم الصحيح

وليس للاساطير هذه وطن فرد اي انها لم تكن عند امّة دون أخرى بل انها اعتقد صحتها كل العالم المعروف من قبل ولم ينح من ضلال الوثنية واساطيرها الا الاسرائليون قبل المسيح والنصارى والمسلمون من بعدهم فالكلام فيها يشمل معظم الامم القديمة وبعض الحديثة كالمصريين والكلدان والاشوريين والبابليين والفينيقيين والسوريين والفرس والماديين والهنود واساطير هؤلاء الامم وعباداتهم اتصلت باليونان فالرومان فاثرت في عباداتهم الوطنية تأثيراً ظاهراً ولكنها لم تكن هي الوحيدة بين مثيلاتها بل كان ثمة للجerman والسكندناف والبريتون والغالة وغيرهم من امم اوروبا عبادات وقاصيص الا انها لم تؤثر في ما كان منها يونانياً اوروبانياً

وتنعت الاساطير اليونانية والرومانية بالمدرسية classique وهي ما يُعلم من نوعها ولدراستها المكانة العليا لما تكشف به من الحقائق سواء كان في اللغتين اليونانية او اللاتينية او في تاريخ الامتين وادابهما حتي انهم ليعسرفهم مؤلفات الامتين والوقوف على شذرات اقلهم قبل الوقوف على اساطيرها واخبار اوثانها لان لديانة الامتين دخلاً عظيماً في شؤونهما المدنية والسياسية

بل ان بعض كتيبة عصرنا هذا يكثر من التلجج والكنايات والاستعارات المقبسة من اساطير اليونان والرومان كل ذلك يجعل دراستها في مكان عظيم من الزوم قلت ان اساطير اليونان والرومان تنعت بالمدرسية وليس هذا الوصف خاصاً بالاساطير بل عامّاً لكل ما كتبه كتّاب الامتين وقد اطلقه علماء اوروبا منذ ابتداء نهضتهم الادبية على ما اتصل بهم من مؤلفات اليونان والرومان للاشارة الى تفوقه واعتماده ثقة في الاخذ عنه في المدارس لان جميع المدارس العليا في اوروبا واميركا كانت توجب على الطلبة فيها ان يتعلموا اللغتين اليونانية واللاتينية لاستطلاع مؤلفات القومين في لغتهم ولهذا نعت كتاباتهم بالمدرسية

الا ان اليونان على علو قدرهم لم يكونوا واضعي ديانتهم ولا مؤلفي اساطيرها ولا كان كذلك الرومان وانما كلتا الامتين من جرثومة واحدة هي الارية وقد استمدتا ديانتهما من ذلك المصدر كما استمدت منه اخوانهم الهنود والفرس وغيرهم الا ان الصلات السياسية والتجارية

بين الامم سهلت لهم الاطلاع على عبادات بعضهم وتبادل الاقتباس . ولهذا تجدد الديانة عند اليونان متكيفة عن اصولها بما داخلها من التحوير والاصلاح
وليس هذا الاقتباس منحصراً في الامتين بل نجد كثيراً من الامم تأخذ ضرباً من عبادتها عن غيرها او تدخل في زون اربابها وثناً جديداً كما سنبين ذلك في فرصة اخرى
جرجي بني

الانتحال

او سرقة الشعر والنثر

قال طرفة بن العبد

”ولا أُغِير على الاشعار اسرقها غنيتُ عنها وشرُّ الناس من سرقا“

ولو كان في ايامنا لقال

والنثر كالشعر ايضاً من تَجَلَّه عليه بين الوري اسم السارق انطبقا

يُطلق السارق او اللص على من يعمد الى جدران البيوت والناس نياماً والليل مخ
سدوله فينقبها وينسل الى داخلها ويجوس خلال الغرف والمخادع ويتلقف ما خف حمله وغلا
ثمته او على من يترصد أبناء السبيل مرابطاً مباغناً حتى اذا هبطوا بطن واد او جازوا فقراً
خالياً انقض عليهم من مكان الطريق او مغابن الكهوف وسلبهم مالهم واشياءهم . او على
خارب الابل وناهب المواشي او على من يخطف اولاد السود من عن ضفة نهر او جانب غابة
او حضيض جبل ويبيعهم للنجاسين بيع السحاح او على خاطف السمع الذي يسرق ما يوحى
به ويحلي فيرمى بالرجم من الجو الاعلى

هو لاء يعرفهم القارى بانهم سراق ولصوص لانهم يخطفون ويخربون ويسلبون وينهبون
وهم مذنبون بحكم جميع الشرائع والاديان ومذمومون بكل شقة واسان . لكنه قد يجمل ان
بين اهل اللصوصية فريقة يتلقف ما هو اكرم من المال ويتخطف ما يفوق كل عزيز وغال وهو
امن في سربه مطمئن في قلبه لا تناله يد القانون باخف جزاء . ولا يعكر عليه الرأي العام
اقل صفاء . وهو المنقض على سراق البيوت وقطاع الطرق وخراب الابل من على منبر
الخطابة بصواعق المطاعن والمثالب . والمرهف من غمد جريدته او ديوانه او كتابه افلاماً
امضي من السيوف القواضب

هؤلاء يشنون غارة شعواء على مبتكرات القرائح ومواليد العقول ونتائج الافكار وينتهبون ما شاؤوا من منظوم او منشور وينخلونه اي يدعونه لانفسهم غنيمة باردة ورزقاً مشاعاً كأنهم أوتوه حلالاً طيباً وهو السمحت الحرام

ومعلوم انه شاع قديماً بين العرب شيء من السرقة الشعرية كأن يستعين الشاعر بصديق او بعجز او ببنت كامل لشاعر آخر او يلجأ بمعنى سبقه اليه غيره دون أن يشير الى ذلك بكلام يدفع عنه تهمة الانتقال . على ان العرب لم يسمحوا به مع كونه طفيفاً بل انكروه وعدوه سرقة كما مرّ بنا في صدر هذه المقالة . وكان عزّة النفس التي عرفوا بها وأثرت عندهم وقفت بهم عند هذا الحد من الانتقال فلم ينقل عنهم أنهم تعدّوه الى اكثر من ذلك او تجاوزوه الى النثر المسجع والكلام المرسل . ولا سمعنا قط أن كاتباً منهم تعدّ انتقال مقالته لغيره بل من يراجع تأليفهم ومصنفاتهم يجدهم اشدّ الناس احتراساً من انصراف اقل تهمة اليهم من هذا القبيل واعظم كتاب الارض ترفعاً عن مثل هذه الدنيا واسبق ارباب الاقلام الى الاعتراف بفضل من تقدّمهم وذكر من نقلوا عنه واستعانوا بكلامه على تأييد ما قصدوا اثباته او نقض ما ارادوا نفيه . واذ لم تعرف عندهم علامات الاقتباس التي شاعت عندنا في هذه الايام نقلاً عن اللغات الاوربية كانوا يدلّون على ما يأخذونه عن غيرهم بكلمة قال ويكثرون من تكرارها الى حدّ يوجب السآمة ويورث الملل

اما في هذه الايام فقد زاد سواد المتخلين حتى كاد عدد سراق القصائد والمقالات يربّي على عدد الشعراء الحقيقيين والكتّاب الصادقين . وقد بلغت بهم الجرأة حدّاً لا نجيب بعده ان رأيناهم يفعلون بارباب الاقلام ما فعله لصوص مكدونية والمغرب الأقصى بمس ستون والولدين الاسبانيين فيخنطفون أسيلهم قريحة واجراهم يراعاً الى حيث يعتقلونهم ويقترحون عليهم نظم الداووين وانشاء المقالات وتأليف الكتب وتعريب الفصول فكأنهم من الاسر وفداء من الاعتقال

وهذه النكبة الفادحة التي رزى بها اصحاب الاقلام في الشرق هي من اكبر آفات النشأة الادبية والنهضة العلمية كأن نكد الجدّ أبي ان يفارق الشرق فلا يكاد يجناز في طريق ارتفاعه عقبة كؤوداً حتى تعترضه عقبات ولا يظفر بالتغلب على آفة حتى يلاقي بعدها آفات ولا يقلّ لي في اي بلاد غير بلادنا يقوم أناس ادعياء يحسدون شعراءها وكتّابها على موتهم او على رزقهم الضيق الراشح من شق القصة فينتحلون قصائدهم ومقالاتهم ويدعون الشعر والكتابة والصحافة بلا استحقاق واستعداد كدعوى آل قيس في زياد . ويزيدون بضاعة

الادب كساداً يقطع منها وتبين الرواج والنفاذ

ولما وُظِنَت النفس على الكتابة في هذا الموضوع عولت على حصر البحث في الانتحال النثري الذي استشرى خطبته واستطار شره في مصر والشام وأصبح ضربة على ارباب الاقلام . لكنني اذ اطلعتُ احد اصدقائي على مرادي رغب اليّ أن أوسع للانتحال الشعري مجالاً في البحث لانه بات ايضاً داءً فاشياً فامثلت اشارته وعولتُ ان اكتفي من ذلك بذكر حادثتين فقط احدهما أنّ احد مشاهير الشعراء في بيروت عزم على جمع ما تفرّق من شعره ليطبعه ديواناً فأعلن ذلك في الجرائد وطلب صورة بعض قصائده ومقاطيعه من صديق له فأنكرها عليه بتاتاً وبعد البحث عن علّة إنكاره لها ظهر انه ضمّها الى ما عنده من بضاعة الشعر المزجاة متوقعاً وفاة ناظمها اطلال الله عمره فيطبعها متخللاً لها براً بعهد الصداقة والادب وخلطاً للدرّ بالخشب

والثانية انّ احد المشاعرين او الشعارير كلفني ان انظم تاريخاً في تهنئة وجيه انم عليه بالوسام العثماني وقد اقترح عليه ذلك احد اصدقائه مصداقاً لدعواه في الشاعرية فاجبت طلبه ونظمت التاريخ ولما اعطيته اياه سألته ان يحفظ لي صورته ويردّها اليّ بعد قلمها فوعدني ذلك ثم انقضت الايام والشهور ولم احصل من تذكيري له بالوعد على سوى المطل والتسويق واخيراً علمت انه ادّعاها لنفسه وقد مزّق صورتها الاصلية حتى لا يبقى لي سبيل الى اثباتها بين منظوماتي لكن سوء الطالع خيب رجاءه وكذب ظنه من حيث لم يدر فاني عثرت لها بعد ذلك على اصل بين اوراقى ودونتها عندي

وفيما انا عازم على اثبات هاتين الحادثتين بالتفصيل عرض لي برفق غريب حادث آخر شغلني عنده شعابي جدواي فاجتزأت بما قدّمتُ فيهما من الاجمال اليسير . وابقيت التفصيل لهذا الحادث الاخير

وهو ان صديقاً لي اعطاني نسخة من ديوان الشاعر المشهور المرحوم الشيخ نجيب الحداد واذ كنت لم اطالعهُ من قبل فتحنّه واخذت اقلب صفحاته لارى موضوع قصائده ومقاطيعه وسائر منظوماته شأن من يطالع كتاباً جديداً فاستمال نظري عنوان قصيدة في وصف القمر وقبل تلاوتها تذكرت اني لما كنت في بيروت عثرت في اواخر الربيع الماضي على بعض قصيدة في الموضوع نفسه لاحد شعرائها مدرجة في الجزء الخامس من احدى مجلاتها واسعدني الحظ ان ذلك الجزء محفوظ عندي فحُتُّ به على الفور وفتحنّه بازاء ديوان الشيخ نجيب وعكفت على المقارنة والمقابلة لعلّي امتع النفس بمشاهدة شيء من الغرائب والنوادر الناتجة عن توارد

الخواطر الذي لم ينفرد شعراء العرب في القول به والاجماع عليه الا ليسهلوا على المتشاعرين سبيل السرقة فيغيثون على جوهر الشعر المكنون . ويدلون بالانتحال ماء الحياء المصون وهم آمنون مطمئنون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

وما قضيت في هذه المقابلة بضع دقائق حتى رأيت ما قضى بعجبي واستغرابي وكاد يذهب برشدي وصوابي . اذ وجدت في بعض تلك القصيدة البيرونية اثني عشر بيتاً مأخوذة من قصيدة الشيخ نجيب على وجه السخف والمسخ وغيرها من انواع السرقة المنصوص عليها في مطولات البدیع ولعل احسن عذرٍ نتمحله لصاحبها انها سرقة باصول ??
والتي يكون القارىء على بينة من صحة ما ذكرت أثبت في ما يلي ايات الشيخ نجيب واقابلها بما في القصيدة الاخرى . قال الشيخ نجيب

قرين الارض ليس يغيب عنها ولكن لا يواصلها القرين
يدور بها ولكن حين يدنو بفر فلا يجيب ولا يلين
اخذه شاعرنا البيروني فقال

وليد الارض انت ولا وليد سواك بها يخامرها السرور
ولم يبرح بها برا رؤوفاً محباً حولها ابدًا يدور
وقال الشيخ

وتصفر النجوم اذا تبدى كما يصفر من حسد جبين
اغار عليه صاحبنا وقال

سمرت وقد علا الزهر اصفرار ولو لها فراحت تسجير
وقال الشيخ

تمر به السحاب مسرعات فيخفي تحتهن ويستبين
سلخه شاعرنا وقال

وتحسدك الغيوم تمر سرعى فيخفي نور وجهك ذا المرور
وقال الشيخ

فحسب منه ان هناك ماء ولا ماء هناك ولا عيون
ولا نبت عليه ولا حياة ولا نسيم ولا غيث هتون
مسخه السارق الاصولي وقال

فحسب ان وجهك لج بحر ولا بحر هناك ولا غدير

ولا نبت ولا حيوان فيه ولا نغم ولا طير يطير

وقال الشيخ

جنازة ميت لا نعش فيها ولا ابد حملن ولا ابن

نقله استاذنا فقال

كان جنازة لا ميت فيها ولا ندب شباك به يتور

وقال الشيخ

حوت عجائب فدعاك قوم الها حبه في الناس دين

تناوله اديننا فقال

وفيه عجائب فدعاه قوم الها فعلة في الكون خير

وقال الشيخ

فيا شبه الحبيب حوت منه بهاه وفاتنا منك الفتون

حرفه المعارض البارع فقال

ايا بدر الظلام حوت جلا من الاوصاف يعلمها الخبير

وقال الشيخ

لنا في كل شهر منك شك ولكن ليس يمله اليقين

باراه فيه المجلي فقال

لنا في كل شهر منك هل تعرف ما تهل بك الشهور

وقال الشيخ

وقاك الله كم تفني قرونا ولا تفني محياك القرون

نلقنه البقي فقال

فكم تفني العصور ولست كهلا تبيض شعر مفرك العصور

وقال الشيخ في الختام

تري فيك البداءة كيف كانت قديما والفناء متى يكون

وهل يبقى الوجود بلا فناء وهل تعفو عن الشهب المنون

كوان ليس يدري السر منها سوى من امره كاف ونون

تخطفها خاطر صديقنا في الختام ايضا فقال

التجبرني البداءة كيف صارت وتصدقني الفناء متى يصير

وهل يبقى البقاء بلا فناء مخلوق وشبه لا تغور
مسائل ما درى الاسرار منها سوى من نعت عزته القدير
هذا ما رأيتُه في بعض هذه القصيدة العامرة فكم يكون فيها كلها ؟ بل كم يبقى عليها من
الستر بعد تجريدها من الفاظ الشيخ ومعانيه وتعاييره وتراكيبه ؟ اكثر مما بقي من "صبيته
طمس" وبقي على القارىء ان يلاحظ الفرق العظيم بين بلاغة الاصل وفهاة الفرع وبين
مئانة قوافي الشيخ وركاكة قوافي الممثل . ولعل شاعرنا البيروتي يدفع عن نفسه تهمة الانتحال
ويدعي المعارضة ولكن عندي ان دعوى توارد الخواطر اسهل عليه من دعوى المعارضة .
فلتسك بهذه وترك تلك عفا الله عنه وتاب عليه . ورحم الشيخ نجيب عداد إساءة هذا
الشاعر اليه

ومما يحضرني من الشواهد على السرقات الثرية اني كتبتُ مقالةً موضوعها "لا تؤجل
الى الغد" ونشرتها في الجنان . وبعد نحو سنتين اُغار عليها احد المتطفلين على موائد الكتابة
وعني بنقلها عن الجنان عنابة كنية اليهود بنساخته الثروة في قديم الزمان وارسلها الى
النشرة الاسبوعية فطبع وتُشرت بتوقيعه . ولما اعلمت ادارة النشرة بالامر واطلعتها على
سرقة ذلك الدعيّ أبت نشر كلامي حفظاً لكرامته وعندي وعند كل عاقل ان النشرة
أخطأت باسرافها في الرفق واللفظ اذ لو نشرت ما ارسلته اليها في هذا الصدد لكان في ذلك
عبرة له ولكتيرين من امثاله

ومنذ نحو شهرين نشر المقطم في صدره مقالةً افتتاحية عنوانها "الفونسو الثالث عشر
ملك اسبانيا" فلم يمض على ذلك الا بضعة ايام حتى رايتها مثبتة في احدى الجرائد المصرية
برمتها دون ان يسبقها اقل كلمة او اشارة تشير الى نقلها عن جريدة اخرى تحت السماء
وعرب المقطم خطبة ولي عهد انكلترا عن احدى الجرائد الانكليزية وبعد برهة وجيزة .
صدرت جريدة اسبوعية في القاهرة تيس في برد تلك الخطبة القشيب غير ذاكرة المقطم ولو
بكلمة ثناء على تجشمه مشقة التعريب

ولو شئت ان أشير الى كل ما يسرق منه وينقل على هذا الاسلوب عنه من المقالات
الكبيرة والقطع الصغيرة الملت واملت

لكن المجلة الوحيدة التي توثب فيها سراق النثر في مصر والشام وازدهوا في بابها
والمنهل العذب كثير الزحام هي مجلة "المقتطف" التي استباح اولئك المنتحلون مقالاتها
العلمية والفلسفية وفصولها الاجتماعية والادبية ومباحثها الزراعية والصناعية وفوائدها الصحية

والطبيعية وغير ذلك من مندرجاتها النافعة ومحتوياتها المفيدة فذخرها بعضهم عدة لجريده
وبعضهم مصدراً لمكتباته وبعض الاساتذة خزانة لخطب طلبته ومباحثاتهم وبعض الخطباء
والواعظين جعبة لنصائحهم وارشاداتهم ولا تسأل عن الرسائل والنبد والكتب التي ألفت
في العلم والادب والصنائع والفنون ووضعت اجزاء لتعليم القراءة وقد شحنت بمقالات المقتطف
وفصوله ومباحثه دون ان يتنازل اصحابها الى التكفير عن سيئاتهم هذه بحسنة واحدة وفي
الاشارة الى ان ما نقلوه او سرقوه مأخوذ عن شيخ المجالات الذي قضى ستاً وعشرين سنة في
خدمة العلم والادب وترك عشرات الالوف من الصفحات مكتوبة بمداد العمر لا بأسود الحبر
وبيراع المشقة والتعب لا بالقصب وعلي صفحات السهر والارق لا علي قرطاس وورق
وفضل مني أن أشير الى فضل هذه المجلة بعد ما شهد بفضلها الخاص العام ولكن
يشق علي الحر الكريم ان يطمع بعض ادعياء الكتابة في حملها وبهافتون من كل فج على تفهم
جانبا وسلب حقوقها وبخس أشياءها او ليس من الكياسة وسلامة الذوق أن تستأذن في
في نقل كل ما يراى نقله وهي لا ترد سائلاً ولا تمنع ناقلاً او تذكر على الاقل في مستهل
النقل او ختامه قضاء لواجب الادب ووفاء لحق الخدمة ؟

ولعل بعض المقتصرين في سرفاتهم على المعرب في السياسة والعلم يستسهلون الامر ولا
يحسبون ذلك شيئاً كأن التعريب عندهم سهل المنال وبالتالي يجوز انتحال المعرب خلافاً لما
ألف او صنّف لكن الواقع غير ما يتوهمون ولو وسع المقام لينت لهم ان التعريب صعب
كالتأليف والتصنيف وكثيراً ما يكون اصعب منهما كليهما وان حق الكاتب في ما يعربه
حقوقه في ما يؤلفه او يصنفه

فليت الكتاب البلاء والشعراء الادباء الذين قضا في مزاولة هذه الصناعة الشريفة
الاعوام والسنين وتعهّدوا ملكتها المغروسة فيهم بعرق الجبين لا بماء المعين يشبون حرباً
عواناً علي سراق الشعر والنثر ويشددون عليهم النكير في السر والجهر حتى يروعوا عن
هذا الامر المعيب والله حسبي واليه انيب

القاهرة اسعد داغر

باكون وشكسبير

هوميروس

من اغرب الغرائب ومساوىء الصدف ان يكون اجود ما نظمهُ البشر من الشعر اليوناني والانكليزي وما نظم من الشعر الحماسي في العربية معرض الشك والريبة من حيث انظمه . فقصائد الالباد والادسي اليونانية المنسوبة الى هوميروس اجود ما نظم من الشعر على الاطلاق في عرف الناقدين الحبيرين ولكن هوميروس نفسه مجهول الاصل والفصل . فمنهم من يعده في مصاف ابطال اليونان القدماء الذين ورد ذكرهم في خرافاتهم كهرقل واثاله من الذين لم يكن لهم وجود الا في مخيلات مخنلقيهم . ومنهم من يقول انه وجد حقيقة وكان ضريراً يطوف مدائن اسيا الصغرى متسوياً على الابواب وهو يغني القصائد مما نظم اقله وسمع اكثره يتداول على اللسنة في ايامه عن وقائع حرب تروادة كما يفعل كثيرون من عميان المتسولين في الشرق هذه الايام . ومنهم من يقول انه هو نفسه ناظم قصيدة الالباد ان لم يكن ناظم الادسي . وانما قالوا هذا القول لان الثانية دون الاولى معنى ومعنى فقالوا انها نظم شعراء متعددين ربما كان هوميروس واحداً منهم . الى غير هذا من الاقوال المتضاربة التي لا تنفع غلة الباحث عن الحقيقة

عنتره العبسي

وما قيل في هوميروس يقال في عنتره العبسي "افرس الفرسان واشعر الشعراء" كما قال بعضهم فيه . فمن قائل انه هي بن بية وان ما نسب اليه من الشعر انما هو من نظم غيره وان قصته مبالغ فيها كثيراً وهي من وضع الاصمعي . وبعضهم يذهب الى اكثر من ذلك فيقول ان عنتره لم يكن موجوداً وانه ان كان هناك عنتره حقيقة فقد كان رجلاً فاق رجال عشيرته في الشجاعة والفروسية فنسب ما نسب اليه . والذي يعرض الشعر المنسوب الى عنتره للنقد الصحيح ويقابله بالشعر الجاهلي يرى فرقاً عظيماً بينهما بل قلما يرى شيئاً من الملازمة مما يثبت ان معظم الشعر المنسوب اليه حديث لا جاهلي قديم . ثم ان ذكر الناظم اسماء اما كن لم تذكر في الشعر الجاهلي وعدم ذكر اسماء ذكرت كثيراً فيه واقتصاره على ذكر القليل من العيس والبهران وما يتعلق بها وغير ذلك مما كان شعراء الجاهلية يفعمون شعرهم به . كل ذلك يدل على ان الشعر المنسوب الى عنتره حديث ويؤيد قول القائلين انه من نظم غيره . وزد على ذلك ان معلقته المشهورة التي يقال ان عرب الجاهلية عدوها من المعلقات السبع

وعلقوها في الكعبة يعبدونها في الاصباح والامساء كما كان اليونان القدماء يعلقون قصائد
هوميروس في العابهم السنوية — انما هي من نظم غيره بلا مشاحة
شكسبير

وهنا يسوقنا البحث الى شكسبير شاعر الانكليز الشهير . فقد اختلف العلماء في حقيقة
ناظم الشعر المنسوب اليه وتعاضلوا الخلاف منذ عهد بعيد فانقسموا الى فئتين فئة كبيرة تقول
ان شكسبير هو الناظم حقيقة وتُسند قولها الى ادلة كثيرة . وفئة أخرى صغيرة تقول ان
الشعر المذكور نظم للورد باكون وان شكسبير لم يكن سوى ممثل بسيط وقد بنت قولها هذا
على ادلة منها ما يري من الشبه بين كتابات باكون والشعر المنسوب الى شكسبير في التصور
ونسق التفكير والتعبير . ولا تزال الفئتان مفترقتين وكل حين تقوم قيامتهما فتفتحان باب
هذه المسألة ثم تغلقانه ولا نقران امراً

وفي ديسمبر الماضي نشرت مجلة القرن التاسع عشر مقالة من قلم احد الكتاب الانكليز
اشار فيها الى هذه القضية كما سيأتي فنار الكتاب من كل حذب وصوب يكتب كل ما
بدا له . وكنت قد ولعت بدرس هذه المسألة منذ سنة ١٨٩٣ حين كنت ادرس آداب
اللغة الانكليزية في المدرسة الكلية ببروت . واول ما ثارت الشبهات والشكوك في خاطري
عندما شرعت انا ورفقائي في درس رواية هملت الشهيرة درساً انتقادياً بيانياً ولم اكن بعد
عارفاً بمجادلات العلماء ومناقشاتهم في هذه المسألة . وزاد ربي عند درسنا مقالة مكولي الكاتب
الانكليزي المشهور عن باكون وفيها يذكر الملكة اليسانبات وباكون وشكسبير ومن عاصرهم من
المشاهير فنهت الى هذا الامر وبسطت معتقدي فيه وكنت اؤيده بما تيسر من الادلة
والاستاذ يجرتنا على حربة البحث وانشاء المقالات في هذا الموضوع لان الحقيقة بنت البحث
ويصوب او يخطئ على حسب ما كان يعتقد . ثم تركنا المدرسة في نهاية تلك السنة وكرت
الايام ففسينا هذه المسألة ولكنها كانت تخطر على بالي من حين الى آخر فاقول لا بد ان
تجلي الحقيقة في الاقرب العاجل وان كانت لم تجل في ثلاث مئة سنة خلت

ومن مضي اكثر من شهر نيهني احد العلماء السوربيين الى المقالة التي وردت في مجلة
القرن التاسع عشر بهذا الصدد كما تقدم . فقرأت بعض ما فيها ولمنحه بحث في امكان نسبة
الشعر المذكور الى باكون . فانشأت رسالة بالانكليزية وارسلتها الى جريدة "ايجبشن غازت"
الانكليزية اليومية التي تطبع في الاسكندرية فنشرتها في عددها الصادر في ٢٧ ديسمبر
الماضي تحت عنوان "قضية باكون وشكسبير . راي مصري" وهذه ترجمة بعضها

لا يخفى على كل من له الملم بعلم الادب والشعر امر المناظرة الشديدة التي قامت بين العلماء فيما اذا كان شكسبير هو نفسه مؤلف الشعر الذي يعزى اليه او اللورد باكون ولكن على غير طائل وقد طالما جال في خاطري لاسباب حجة ان شكسبير الامي (اذ لم يكده يحسن كتابة اسمه) لا يمكن ان يكون ناظم ذلك الشعر البديع بل الا صوب ان يكون باكون ناظمه وهو الكاتب العظيم والسيامي الكبير والفيلسوف الخطير الذي نقض نظام الفلسفة القديمة برمته تلك الفلسفة المبنية على مجرد تصديق ما قاله ارسطوطاليس وغيره من الفلاسفة القدماء وشاد نظام الفلسفة الحديثة على اساس مكين وهو المشاهدة بالعيان والامتحان

وقد نشرت مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية مقالة في عددها الصادر في غرة ديسمبر الماضي من قلم المستر ملوك احد مشاهير الكتّاب عنوانها "بيان جديد للكتابة المختزلة المعروفة بالصفرة عن باكون وشكسبير" ويبحث الكاتب في هذا الموضوع بحثاً مستفيضاً فوجه اليه انظار الذين تهتمهم هذه المسألة

وليس العجب ان يكون باكون ناظم الشعر المذكور على الارجح بل الذي يحمل على العجب ان يكون ذلك الشعر منظوماً على معانٍ مستترة غير ما يؤدى اليه ظاهره كما ورد في تلك المقالة فكأنه شعر مشنكر ظاهره غير باطنه . وان يكون في طيه اسرار مخنصة بباكون والملكة اليبابات كان باكون يجب اطلاع الناس عليها ولما لم يسعه ذلك جهراً خوفاً عمد اليه سراً بالطريقة المعروفة بالصفرة وهي ان يكتب كلاماً ويطبعه بنوعين من الحروف يستدل منها على معانٍ أخرى

وربّ معترض يقول انه ان كان باكون ناظم الشعر المذكور فلم لم يقل ذلك صريحاً . والجواب ان فن التمثيل كان فناً حقيراً في تلك الايام . ولو ادعى باكون ان له اقل علاقة به مهما كانت كمية تلك العلاقة وكيفيتها لعرض نفسه لاحتقار الاشراف والعامه لا سيما وأنه كان حافظ الختم الملكي وثاني الملكة في المملكة والمرجح انه كان يدفع ما ينظمه الى شكسبير سراً فيتمله فعزى اليه وما زال معظم الناس يعتقد هذا الاعتقاد منذ ثلاث مئة سنة الى يومنا هذا

ولا يعجب عاقل اذا ثبت عاجلاً او آجلاً ان باكون وحده نظم الشعر المذكور وهو الكاتب والسيامي والفيلسوف وان شكسبير كان اعظم ممثل في زمانه

ثم بعثت اليها برسالة أخرى في ٣ يناير وهاك بعض ما ورد فيها
" لي كلمة أخرى اقولها على قضية باكون وشكسبير . وهي ايراد الادلة الآتية وترك القراء

يستنتجون كلاً على حسب قابليته للاقتناع

(١) كان باكون وشكسبير معاصرين

(٢) كان باكون كاتباً كبيراً وفيلسوفاً وشكسبير يكاد يكون امياً

(٣) بين كتابات باكون والشعر المنسوب الى شكسبير وجوه كثيرة للشبه في اسق

الكتابة والتصورات وطريقة الفكر والتعبير باعتراف اعظم انصار شكسبير ومؤيديه

(٤) كل من يعرض الشعر المنسوب الى شكسبير للنقد الدقيق الخالي من الهوى يراه

مفعماً بالحكم والتجارب عن الطبيعة البشرية مما لا يمكن ان يصدر الا عن فيلذوف ذي فريضة

وقادة وفؤاد يتلهب ذكاءً فضلاً عن قروي ربما امتاز باشارة لطيفة ونطق فصيح ووقفة حسنة

على مرشح التمثيل وغير تلك من الصفات التي تخص بالمثلين لا بالفلاسفة

(٥) ان فن التمثيل كان فناً حقيراً في تلك الايام كما قلت في رسالة سابقة وهذا ما

منع باكون من القول صراحة انه ناظم الشعر المذكور

فهذه الادلة المتقدمة قد لا تقوم مقام برهان بات صريح وان كان حساباً امثالها برهاناً

قاطعاً يعمل به غير نادر الوقوع . مثال ذلك انه لما رأت محاكم مصر منذ ثلاث سنوات ان

القانون لا يجيز لها الحكم بالاعدام على متهم بالقتل ما لم تقم بينة صريحة على ذلك كشهادة

اثنين انهما راياه مرأى العين يرتكب القتل عمدت الى تحويل المادة الثانية والثلاثين

المشهوره من قانون العقوبات ومآل ذلك التعديل انه يجوز الحكم بالاعدام على متهم بالقتل

بدلالة القرائن والبيّنات غير الصريحة اذا لم يكن هناك بينات صريحة . فما صح هنا يصح في

المسألة التي نحن بصددنا

هذا ملخص ما ورد في هذه الرسالة . وقد رد بعض المكاتبين الانكليز على ما ورد في

الرسالة الاولى بين مصوّب ومخطئ مما لا فائدة من ايراده

والذي فتح باب هذه القضية هذه المرة سيدة اميركية اسمها مسز جالوب وهي التي بنى

المستر ملوك مقالته على اكتشافها واظهر ميلاً الى تصديقها فقامت عليه قيامه انصار شكسبير

ونشر اثنان منهما مقالاتين في مجلة القرن التاسع عشر الصادرة في هذا الشهر ينتقدان مقالته

وبيّنان فساد ما ادعته مسز جالوب

على ان كل من يباحث الانكليز في هذا الامر يرى ان معظمهم متعصب تعصباً اعمى

لشكسبير حتى ان انصار باكون لا يبلغون جزءاً من الف من انصاره . وقد بلغ منهم التعصب

مبلغه حتى قال احد كتابهم في جريدة "الايجشن غازت" انه وان ثبت ان باكون هو

ناظم الشعر المنسوب الى شكسبير لكن هناك صعوبة عظيمة في اقناع الجمهور بالعدول عن اعتقادهم التقليدي ان شكسبير هو الناظم لا باكون . ولو بُعث شكسبير من روميه واعترف بذلك على رؤوس الاشهاد لم يصدق الناس

فرددت عليه بقولي " ان الباحث عن الحقيقة يفتش عن ضالته المنشودة حتى يجدها فاذا وجدها واعلن ذلك للملأ انتهت مهمته ومسأوليته هنا ولا يطالب باكرام الناس على تصديق رأيه أكثر مما يطالب الواعظ باكرام سامعيه على قبول نصائحه وارشاداته . فقد طالما كان التقليد مضللاً للناس وصحته معرضاً للشك والارتياب ومحطاً للاختلاف . فان كان الجمهور لا يجب ترك التقليد القديم ولا يصدق ان شكسبير ليس ناظم الشعر المنسوب اليه ولو نشر من قبره واعترف بذلك صريحاً فلهذه مسألة اخرى لادخل لها في قضية بحثنا "

هذا وان كل محب للحقيقة يتنى لو يحل الخلاف الذي بين الفريقين وتنجلي الحقيقة بالبرهان الساطع حتى يستريح عالم الآداب من قضية مضت عليها الاعوام وهي لا تزال اعقد من ذنب الضب واطول من ليل الصب . ولعمري اذا ثبت بعد هذا العناء الطويل والنصب الكثير ان باكون هو ناظم الشعر المنسوب الى شكسبير كان ذلك دليلاً على امرين الاول ان باكون نابغة بني البشر اجمعهم لانه فاق الاقران وحاز قصب السبق في فرعين مختلفين كل الاختلاف لا علاقة للواحد منهما بالآخر وهما الفلسفة والتمثيل وهو ما لم يسبق له نظير في تاريخ البشر . والثاني ان كثيراً من الحقائق لا يزال محجوباً بحجب الغيب والريب وان جيوش الوهم لا تزال سائدة متسلطة على كثير من امور البشر مهما تقدموا وتقدموا فلا يزال لها صولة ولا يديل لها دولة غير كثرة البحث وطول الايام

نحيب شاهين

عروسة النيل

(تابع ما قبله)

الفصل الثالث

عادت سفينة المقوقس تشق عباب النيل وعاد ركبها الحديث والغناء واسندت ماري رأسها الى كتف باولين ونامت وطفقت المهدبة تارة لتأمل الافلاك والنجم ذا الذنب وقد امتلأ قلبها رعباً وتارة تحديق في وجه اوريون وقد سحرها جماله وملك سويداء قلبها وكانما هي تحسد باولين على ما خصها به الله من الحسن والجمال . وكان الليل هادئاً واديم الجو صافياً والنسيم بليلاً

والقمر يحدث في الصدور خفقاناً كما يحدث في البحر مداً وجزراً

وظل أوربون يعني ما تقترحه عليه باولين وصوته يزداد جلاءً وحلاوةً ورنتهً وفناً وتأثيراً حتى سكرت الفتاة من الطرب ولما طرح القيثار من يده همس في اذنها يسألها عن رأيها في بلاده في مثل تلك الليلة وعن احب الاغاني اليها ثم اخذ يصف لها ما اصابه من الفرج والدهشة عند ما لقيها في بيت ابيه دون سابق انتظار او علم منه فزاد ذلك وجددها واجابته على اسئلته همساً جواب الحب الحبيب. ولما بلغا القصر ومشييا في ظلال الاشجار الغبراء اخذ يدها وضماها الى شفتيه فلم تزجره. ثم دخل المنزل فاسرعت الى خالها فتمت يده وقبلت زوجته خلافاً لعاداتها فبهنت هذه وحدقت بابنها وبالفتاة وكأنها قرأت في عيونهما ما اقلقها وادركت ان وراء القبلة سرّاً فلزمت الصمت وحفظت الامر في قلبها لانها لم تأمن جانب زوجها على ما تعرفه من ميله الشديد الى ابنة اخته حتى اذا ما فرغت من اعمالها البيئية ونقل الخدم زوجها الى مضجعه وناولته الدواء لتسكين اوجاعه امرت احد الغلمان بملازمته واسرعت الى مخدع ابنتها لعلها ان العجلة من الحزم وان التأني في تلك الحال مجلبة للندم فقرعت الباب ودخلت فلقبها بالترحاب والدهشة وهو يحسب لمجيئها الف حساب اما هي فبدأنه بالكلام قائلة ان سلوكه وتصرف باولين اقلقها واجبرها على مخاطبته في امر ذي بال حرما النوم الى ان قالت ولا اصف مقدار حبي لك فان آمال حياتي وحياة ابيك منوطة بك فاحب الاشياء لدينا الآن ان ترتدع عن سيرتك الماضية فقد لقيك ابوك بصدر رحب وافي ديونك الباهظة فاصبح من الواجب عليك ان نقابلنا بالمثل وانت تعلم اننا قد اخترنا لك عروساً من فضليات البنات وهي تحبك حباً شديداً فقد قالت امها لي اليوم انك فتنتها فانت الآن قبلة ناظرها وموضوع نجاها وعاليه فلم يبق ثمّت مانع يمنع اقترانك بها وهو امنية حياتي وغاية مشتهي

فاجابها اوربون

— نعم يا أمه ولكن لا تعلقي كبير امل على ما جرى بيننا فان معاملتي هذه للنساء اصبحت في عادة ولكنني ساقطع عنها فقد حان لي ان ابدأ حياة الحد

— فقالت ولكن هذا ما نبعيه نحن ايضاً فكل الامر الي وغداً انجزه على ما تروم فالفتاة عالقة بجمك وهي مهذبة الصفات كريمة الاخلاق وستجد فيها مثلاً للزوجة الفاضلة هذا فضلاً عن انها ذات ثروة طائلة

— صحيح ما تقولين يا أمه على اني است بطامح الى ثروتها فلتحرص عليها . فغضبت أمه وصاحت به قائلة

— بربك خلّ الهزل لاوقاتو فنجن الآن في طور الجدّفا الذي يمنعك من الاقتران بها وقد استجعت احسن والرفقة والاخلاص العلك خلفت فؤادك في القطنطانية او اغوتك نسبة الوزير يوستينوس

— كلاً يا أمه فقد غادرت تلك المدينة ومن فيها ولم يبق من ضفاف البسفور في ذهني الا رسم ضئيل على اني لقيت تحت سقف بيت ابي في منف ما هو اجمل من فانات العاصمة واعلم ان كاترينا لا تصلح زوجة لي وانا فرع الجبابرة الكرام وعلينا ان نحافظ على نسلنا كي لا يشوبه شيء من الضعف فينخط الى طبقات العامة ولا اريد الاقتران الا بفئة تشبهك ايام صباك طولاً وجمالاً ووقاراً اما وقد برح الخفاء فانا لا اتزوج سوى باولين ابنة ذلك القائد العظيم فهي عروسي التي اخترتها لنفسني فانحنينا بركتك وشاركينا في هادتنا وكانت امه اثناء حديثه تنقلب على احر من الجمر فلما فرغ من الكلام احندمت غيظاً واقطع نطق صبرها فاحمر وجهها غضباً وصاحت به

— ألا فف بحقك ولا تزد أغاب عنك ان هؤلاء الملكيين هم سافكو دم اخويك وان الروم يحقرونا ولا يؤدون لنا واجب الاحترام على اننا زعماء المصريين ايلق بحفيد مينا العظيم وابن المقوقس الحكيم وشقيق شهيدين سفكا دمهما دفاعاً عنه دينهما ان يتزوج يونانية ملكية ان غضب والدك وتسحق قلب امك اكراماً لهذه المتجرفة المعوزة التي نجسرت نحيي امك بمثل ما يجي به العبد أنحرم لاجلها ولدنا وهو البقية الباقية لنا ومنتهى اماننا في الدنيا . لقد كنت جميع دهرك عنيداً يا اوربون لكنني لا اخالك تعصينا في هذا الامر الى هذا الحد نحن اللذين سهرنا على حياتك وراحتك اربعاً وعشرين سنة . واذكر اباك العليل فان ايامه معدودات واذكر والدك النعيسة التي اتخذتك عضداً لها وعكازاً لشيخومتها انطرحني لفئة رابتها منذ يومين وتنسى حب الام وحنوها ورافتها اما اذا دفعك الطيش الى ارتكاب هذا الجرم فاني اقسم بن له الملك والمكوت لا نزعن حبك من قلبي ولا طرحته عني كما تفلع الاعشاب السامة ولو كان في ذلك انقضاء عمري ومحو سعادي

فذر اوربون لكلامها واضطرب لاضطرابها فطوّق عنقها بذراعيه وقبل جبينها وقال لا سمح الله ان اجازيكما هذا الجزاء بعد الذي فعلتماه بي ثم امسك يديها وقال ما راعني قط مثل كلامك ان اسمك مشتق من الحنو ولكنك قربة الغضب والقسوة . وعاد يقبلها ويطيب قلبها الى ان هدأ روعها فكلفها ان تقول عقد خطبته علي كاترينا على ان لا تفعل ذلك الا بعد يومين ظناً منه ان في التاجيل باباً للفرج . فارضى ذلك امه فودعته وعادت من حيث اتت

وتركته يتقلب على فراش المواجهس والبلايل يتنازعه عاملا حبه لباولين وحبه لوالديه
وحقهما عليه . ورأى بعينيه خيبة الامل ماثلة لديه فاخذ يعزي نفسه بما حضره من اسباب
الساوى ويسرد لنفسه اسماء اللواتي علقهن ثم ملهن وهو يحسب كل واحدة اهلاً لان
تكون زوجته لكن ذلك لم يبرّد غليله لان حب باولين تمكن من فؤاده وعلم ان سعادته في
الحياة لا تتم بدونها فاخذ يضرب اخماساً لاسداس ويلوم العناية التي قدرت ان تكون الفتاة
ملكية وحر كيف انها علي لطفها ودعتها لم تستل اليها قلب والدته

ولما فارقته امه اسرعت الى مخدع باولين فلما دخلته شعرت هذه بغرضها من الزيارة في
تلك الساعة فتدبرعت بالصبر واظهرت الجلد اما هي فاعلنت لها خطبة اوربون لكاترينا وامارات
الظفر والفوز بادية في وجهها فتبسمت باولين وتمنت للخطيبين الهناء والسعادة ودعت خالها واهل
بيتها بالرخاء وطول العمر. حتى اذا ما خلت بنفسها بعد خروج امرأة خالها فارقتها الجلد وخالها
الصبر فتنفست الصعداء والقت نفسها علي سريرها وبكت بكاءً مرّاً ثم مسحت عينيهما وتنتهت فيها
عاطفة عزة النفس فعزمت علي احتمال هذه النكبة بالسكون وقضت ليلتها ثقل على مثل
الجمر وتفكر في غير الدهر فتمثلت لها الحياة سلسلة من المصائب والاحزان لا تنتهي حلقاتها
الا في القبر

وكان المقوقس يحب باولين ويقدرها حق قدرها ويتمناها عروساً لابنه لكنه لم يخف عليه
كره زوجته لها وادرك ان مذهبا سيحول دون تحقيق امانيه وتسلطت زوجته علي امياله
وتغلبت علي افكاره فلم يشأ مخالفة رفيقة عمره وسند شيخوخته وايقن انها لا تحول عن عزمها
وعلم ان كرهها لابنة اخيه لا تزيده الايام الا شدة وفطنت زوجته الي ميله فلم تطعمه
علي ما دبرت من المكاييد ولم تخبره بما فعلت تلك الليلة

الفصل الرابع

وفي مساء اليوم التالي وفد التاجر هاشم وبعض جماعته علي قصر المقوقس يريدون
زيارته فاذا به غاص بالقصاد واصحاب الحاجات والدعاوي حافل بالخدم والحشم وعلي احد بابيه
حرس المقوقس من الجنود المصرية وقد انتشر العبيد والاماء في ضواحيه يستقون الماء من
النيل ويتنشقون النسيم البليل بعد ان ازهق حرّ النهار النفوس وانقسم العتقاء منهم جماعات
يتضاحكون ويتسامرون ويغنون

وكان المقوقس علي جانب عظيم من الثروة وله املاك واسعة في مصر العليا والسفلى يتولى
زراعتها والعناية بها الوف من عبيده . ولما كان المصريون حديثي العهد بالفتح الاسلامي ويجهلون

اخلاق العرب وامياهم انقوا ان يلجأوا اليهم في التقاضي وفض الخصومات والنظر في الدعاوي
وابوا الا ان يكون المقوقس الحكم المطلق في امورهم كسابق عاداته فارتضاه المسلمون واليا للمصريين
لثقتهم بعدله ونزاهته وخبرته باحوال البلاد واخلاق اهلها فظلت ازمة الامور في يديه وهو
يتولى الاحكام باسم الخليفة واسم قائد جيوش المسلمين عمرو بن العاص . فاكبر هاشم سطوة
المقوقس وجاهه وثروته وعجب كيف يستطيع على ضعفه وعلته ان ينظر في جميع ما يرفع اليه
من الدعاوي علي كثرتها في عام رديء الفيضان يشتد فيه العوز ويكثر فيه القصد وطلاب
الامالات واصحاب الحاجات وثققات وفود الاقاليم . فاخذ يرقب الداخلين الى المجلس والخارجين
منه حتى اتى علي آخرهم ولم يبق بالباب سوى رجل فقير الحال رث السربال لم يتمكن من
المثول بين يدي الحاكم لضيق ذات يده وعدم استطاعته دفع الجعل المعتاد الى الحاجب فلما
ارفض الجمع امره هذا ان يعود في الغد ودعا التاجر ان يدخل الى قاعة الزائرين احتراماً
له واكراماً للدينار الذي تقدمه اياه الدليل امس فابى هاشم الدخول قبل ان تقضى حاجة
الرجل والى في طلبه فاجابه الحاجب الى ذلك ولم يكن الا كلاحول ولا حتى عاد الرجل
مبتهجاً مسروراً فقبل يد التاجر وشكره علي معروفه وانصرف . فحينئذ تقدم هاشم وبين يديه
بعض غلامه يحملون القطيف فساروا به الى غرفة الانتظار حتى يصدر لهم الاذن في المثول
بالحضرة وكان المقوقس بعد قضاء الاعمال قد جالس يلعب الشطرنج مع ابنة اخيه في غرفة تطل
علي النيل وسقفها مكشوف يغطونه في النهار بمظلة ثقي من تحتها حر الشمس اللاذع ويزيحونها
في الليل التامساً للبرودة وارضا مصنوعة من الفسيفساء المنزلة في الزجاج المذهب وجدرانها
مبطنة بالخزف الصقيل وفي وسطها حوض من البرفير فيه نكت بيضاء ينصب اليه الماء من نفورة
ترفعه في الهواء فيبرده ولم يكن في الغرفة من الاثاث سوى بعض المقاعد والكراسي والموائد
واكثرها مصنوع من المعادن المصقولة وقد تدلى في زواياها مصابيح كثيرة لانا، انها
ولما ابتدأ اللاعبان وقف اوريون وراء باولين واخذ يتأملها والنسيم يعبث بغدائرها
فينشرها ويلفها وهي لا تبالي وحاول ان تعبره التفاتة فلم تفعل واخيراً عرض عليها ان
باتيها بمندبل تطرحه علي عنقها انقاء البرد فرفضت بتاتاً دون ان تشكره وخفي عليه سبب
نفورها منه لانه كان لا يزال يجمل ما فعلت امه في الليلة البارحة . ولم تكن معاملة باولين له
في النهار احسن منها في المساء فاذا دنا منها نفرت او سألها سوءاً لا يريد به اطالة الحديث اجابته
علي سوءه سلباً او ايجاباً كانتا تروم التخلص منه . فبهت لهذا السبر الغريب الذي لم يعتده قبل
اليوم فقال في نفسه لقد صدقت والدتي في ما قالت عنها فانها متكبرة متغطسة ولولا شفاعة

جماله الفتان لما اطقت كبرياءها وترفعها عني الى هذا الحد فهي الآن اشبه شيء بصنم لولا حركاتها فما الحيلة في كسر شوكة تعجزها . ولاحظت امه اضطرابه فارادت ان تشغله عنها فاخذت تلقي عليه الاسئلة تباعاً وترسله الى غرفتها لقضاء بعض الحاجات وهي تفكر في ما طرأ عليه من التبديل في ذنك اليومين وشرعت تراجع تاريخ حياته من يوم ذهب الى القسطنطينية الى يوم عاودها شاباً غرض الاهداب طيب السريرة سليم النية بطبع سلس وحب لاهله شديد ولم تفسد اخلاقه مالا هي تلك المدينة العظيمة بل اكتسبته اخيراً ودقة نظر حتى اذا جلس يناقش اباه في الامور السياسية والادبية ادهشه بفرط ذكائه وحده ذهنه وسمو معارفه وحسن سرده للحقائق وايضاحه للغمي منها ولما اطلمت اباه على ما خلف وراءه من الديون وقلوبها يخفق خشية ان تأخذه سورة الغيظ تبسم وفتح خزانته وعد الدراهم عن طيبة خاطر قائلاً ان ما اكتسبه الشاب في غيابه يساوي اضعاف ما انفقته . وسره من ابنه انفاقه ما ادخره في ما يزيد شأنه ويرفع قدره في عيون الناس واعجبه اقتناؤه جياذ الخيل وفوزه في حلبة السباق وشرح صدره ما شاهده فيه ما سمات العافية ودلائل النشاط البادية في وجهه المشرق وعضله المجدول فقال لزوجه لقد احسن ابننا في ما فعل فان مئة وزنة لا تقدرني وقد شئت ولم تبقى لي حاجة الى المال فلينفق عن سعة ان مالي كان كثيراً والذي يزيديني حبالاً وتعلقاً به ما نني الي من اخباره ايام كان في القسطنطينية فقد كتب الي بعض من اعرف هناك يقول انه كان فيها مجلى الاكرام والاعزاز يصدرونه في الحفلات والولائم والسباقات وقد اعترف له شبان العاصمة بالسبق والميزة عليهم ومن كان كذلك فالمال اقل ما يكفاه به والحقيقة ان اوربيون على جماله وغناه لم يفرط في معيشته في عاصمة الملذات والملاهي ومع انه قضى فيها سنوات عديدة حذق في خلالها اليونانية وادابها وتفقه باشعارها واقتبس عادات اهله واخلاقهم فعاشهم ومازجهم لكنه لم ينس بلاده بل ظل مصرياً مجتاً يخفق قلبه لذكرى وطنه فيفرج لفرحه ويتألم لمصائبه ويتشنى له الخير ولاهله السعادة وكان يجاهر بمبادئه هذه في المجالس ويصف شوقه الى مصر واعجابه بها . ولم يغادر القسطنطينية الا بعد ان اصبح مقامه فيها محفوفاً بالمخاطر لان اليونان لم ينسوا ما فعله ابوه من تسليم مصر للمسلمين دون حرب ولا جلاذ فارادوا الايقاع بالابن اخذاً بثارهم من الاب ولم يفلت من ايديهم الا بمعونته بعض اصدقائه من كبارهم الذين لما دروا بما يحيق به من الخطر اوعزوا اليه ان يرحل الى بلاده ففعل ولما اجتمع بآبيه اراد هذا ان يسبر غوره اذ خشي ان مقامه الطويل بين اليونان وما تعلمه منهم يغيران قلبه فيحولانه عن حب بلاده وثقاليدها فالقام مصرياً لا غش فيه وابنا لم

بنس ما سمعته من عبارات الازدراء بابيه وبلاده ولم تغب عنه ذكرى مقتل اخويه فازداد ابوه تعلقاً به واحتراماً لمبادئه وادرك ان ابنه سره وانه كفوه لتولي المناصب وادارة الاعمال جميع هذه خطرت ببال نفورس وهي تحدث والدته كاترينا وتجاهلها بغية ان تصرف نظرها عن سلوكه الغريب وفيما هما كذلك التفتت اليها الاخرى وقالت

— الا ترانا ابنة اخت زوجك اهلاً لحديثها

— كلاً فهي طباعها السيئة لا تحول عنها ولا تروم تبديلها باحسن منها على انني اشتهي ان ترحل عنا الى حيث تطيب لها الاقامة فاذا ارادت الرحيل فلن تجد مني عائقاً. ثم سألتها عن كاترينا فاعندرت عن غيابها بان في بيتهم ضيوفاً من انسبائهم فاضطر ذلك الفتاة على البقاء معهم مع انها كانت تفضل قضاء السهرة في القصر. فلم تفت هذه العبارة الاخيرة اوربون فدار الى المتكلمة وسألها عن ابنتها قائلاً لقد وعدتني امس ان تصنع طوقاً لكابي فهل فعلت با ترى — فقالت أمه نعم وقد علمت انه ازرق يمثل لون السماء وقد رصعته بنجوم ذهبية على اني اخطأت في البوح بسرهما لانها ارادت ان تفاجئك به على غير سابق انتظار. وظلوا يتحدثون على هذا النمط الى ان عاد اوربون الى موقفه الاول وراء باولين يرقب لعبها ويدلها على مواقع الضعف فيه وينبهها الى نقل القطع وهي لا تزداد الا نفوراً منه وعناداً فاذا اشار بامر فعلت عكسه اظهراً انكدرها ولم يفت الحاضرين اهتمامه بها وعدم احتفائها به فلما انتهى اللاعبين من الدور الثالث رمى المقوقس القطع على اللوح ودنا منه الحاجب فاخبره ان التاجر العربي بالانتظار فامره بادخاله الى المجلس ثم جذب اذبال قفطانه اليه والتفت الى الباقيين فقال

— عفواً فقد طوقتموني بجميكم لانكم احتملتم البرد لاجلي والغالب في الشيوخ ان يكونوا كالاطفال في حب الدفء ونور الشمس اما انا فلست كذلك وارى حر هذا الصيف شديداً لا يطاق وذلك مما يزيد في اوجاعي والامي وطالما تمنيت يا باولين ان يكون لي فراش من الثلج كالذي يقع في جبال لبنان حيث كنت اذا كنت اتمرغ فيه فيخف بعض ما بي فان هذا البرد الذي تكرهونه حبيب الي لكن حرارة الشباب لا تطيق البرودة.

وكان اوربون يصغي الى ابيه باحترام واهتمام شديدين فلما لفظ العبارة الاخيرة تبسم وقال — ولكن من الناس من لا يزال في سن الشباب وهو يجد راحة في برودة العواطف لسبب لا يعلمه الا الله. قال هذا والتفت الى باولين كأنه يشير اليها في كلامه فحولت وجهها عنه وبدأ الغضب في عينها ثم مشت والعظمة والجلال يطيفان بها فلما بلغت الباب حيث الجميع تحية المساء وانصرفوا نحو غرفتها وامر اوربون الخدم ان يقفوا الباب المطل على النيل وان يعيدوا المظلة فوق السقف

الفصل الخامس

دخل هاشم ووراءه بعض اتباعه يحملون القطيف حتى فرشوه بين يدي المقوقس فلما رأى هذا رستما وابصر خنجره الطويل وفأسه الكبيرة دعر من طول قامته وعرض منكبيه وكثافة شعره فصاح بالحاضرين

— اخرجوه وابعده عني فلن استطيع البقاء هنا حتى يغيب عن وجهي. واخذ يرتجف وبدأ الخوف والجزع على وجهه وكان فؤاده يهلع لرؤية الجبارة والسلاح لان احد من بني اليونان حاول مرة اغتيال حياته. ولما خرج رستم سكن جاشه وثاب الى الهدوء واقبل عليه اهل بيته بلاطفونه ثم اخذوا يتأملون في القطيف فاكبروا ما فيه من دقة الصنعة وكرم الحجارة وجودة النقش. ومن خبر هذا القطيف ان العرب غنموه في ما غنموا من ايوان كسرى في المدائن وكان طوله ثلثائة ذراع وعرضه ستون ذراعاً فلما استولى عليه العرب قطعه عمر بن الخطاب قطعاً فرقها بين الصحابة فاصابت هذه القطعة علياً واخبرهم هاشم انه رأى القطيف بتمامه معلقاً في ايوان كسرى قبل ان يحمل منه الى المدينة^(١) ولما فرغوا من تأمله قال له المقوقس — بكم تبيعني هذه القطعة فقل ولا تدع باباً للمساومة

فقال ابيعها باربعائة الف درهم

فهزت نفورس راسها واومات الى زوجها ان لا يبتاعها وقال اوريون

— لكنها قد لا تساوي سوى ثلاثمائة الف درهم فاجابه التاجر

— سألتني ابوك ان لا اسامم ففعلت ولو كنت خبيراً بالجواهر علمت ان هذه اليوانيت

التي تمثل العنب وهذه اللاكي التي تمثل زهر الآس وهذه الماسات الراقدة كالندى على العشب

وتلك الزمردات التي اعارت الاوراق خضرتها — لاسيما وسطاهن — تساوي اكثر مما طلبت

— اذا فعلام لا تنزعها جميعاً وتبيعها على حدة

(١) ذكر ابن الاثير في الكلام على غنائم المدائن ان القطيف بساط واحد طوله ستون ذراعاً وعرضه ستون ذراعاً مقدار جريب كانت الاكاسرة تعده للثناء اذا ذهبت الرياحين شر بوعليه فكأنهم في رياض فيه طرق كالصور وفيه فصوص كالانهار ارضها مذهبة وخلال ذلك فصوص كالدر في حافات كالارض المروعة والارض المبجلة بالنبات في الربيع والورق من الحرير على قضبان الذهب وزهره الذهب والفضة وغيره اشبه ذلك وكانت العرب تسميه القطيف فلما قدمت الاخماس على عمر نقل منها من غاب ومن شهد من اهل البلاد ثم قسم الخمس في مواضع ثم قال اشيروا دلياً في هذا القطيف فمن بين مشير يقبضه وآخر مفوض اليه ٠٠٠ فقطعة بينهم فاصاب علياً قطعة منه فباعها بعشرين الفا وما هي باجود تلك القطع

— ذلك لاني اكره ان افسد هذه الصنعة التي افرغ فيها امر الصناعات جهدهم فاما ان اباع القطعة كما هي او لا اباعها ابدأ . فاولماً المقوقس الى زوجته وابنه بالسكوت ثم عمداً الى لوح صغير فاخذته وكتب عليه شيئاً وقال للتاجر

— لقد تم عقد البيع بيننا فخذ هذا اللوح الى نيلس خازننا وهو بنقدك الثمن وتكرّم الآن فصف لنا بعض ما تعرف عن هذا القطيف قبل تجزئته

فتناول التاجر اللوح ودسّه في منطقتيه ثم قال

— كان في ابوان كسرى قاعة تسع بضعة الوف من الضيوف ما خلا مئة جندي يحرسون العرش وقوفاً علي جانبيه وكان القطيف معلقاً فيها وقد سمعت ان الحاكّة والمطرزين والصاغة الذين صاغوه كانوا كعدد ايام السنة وانهم قضوا ستين سنة يعملون فيه والصورة باسرها تمثل جنة الخلد عند الفرس باشجارها وازهارها وثمارها وانهارها وجميع ما فيها فاذا تأملت في ما امامكم الآن ترون جزءاً من السلسبيل اذا نظر اليه الراي من بعيد حسبه بما عليه من الجوهر ماء جارياً وهذه اللاآتي تمثل زبد الامواج وهذه الاوراق جزء من هذه الوردة التي كانت بجانت السلسبيل والفرس يعتقدون ان لون الورد الاصلي ابيض فلما رأى بعضه المرأة وقد اشرق جمالها وبدا يياضها الناصع احمرّ نجلاً فكان من ذلك الورد الاحمر وقد كانت هذه القطعة في وسط القطيف والمرسوم عليها يمثل يوم الحشر على زعم الفرس والناس فيه فرق ثلاث العجزة اتباع اهريمان وقد طاروا من وجه الجن الذين عدوا وراهم ليقبضوا عليهم والبررة اتباع اورمزد وهم اهل الجنة الخالدون فيها والمتعمنون باطانيها والفرقة الثالثة ارواح الذين لم يستحقوا الثواب ولا استوجبوا العقاب ومقام هؤلاء في غابة كثيفة مظلمة . وقد تلقيت هذه التفاصيل عن احد كهنة المجوس العارفين باسرار ديانتهم واثنى ما في القطعة هذه الزمردة التي اشترت اليها . فصاح اوريون

— لقد اصبت فكّم ثمنها يا ترى . فقال ابوه

— انها ثمينة جداً على انها واخواتها حقيرة في جنب الغاية التي ابتعتها لاجلها وجميعها ليست اهلاً لمن عزمت على اهدائها اليه . فقال اوريون

— لعلك تريد ان تهديها الى القائد الكبير عمرو بن العاص

— كلاً يا ولدي بل الى اكبر من عمرو فهي تقدمي الى خالقي

فلم يرق ذلك في عيني ابني بخلاف امه فانها اسرعت الى زوجها وقبلته فرحة وقالت له لقد احسنت فالاهتمام بنفسينا اولى من حشد الاموال ورضا الله خير من تمني البيوت

وزخرفتها بنفيس الجواهر وثمين الرياش بآرك الله فيك . واحسنت ان حملاً ثقيلاً زال عن عائقها . فلم يفه زوجها بينت شفة لكنه هز رأسه وأمر الخدم فلفوا القطيف وساروا به الى بيت التحف بتقديمهم اوربون فوضعوا حملهم فيه واقفلوا الباب فاخذ اوربون المفتاح ووضع في جيبه ولما عاد الى المجلس امر المقوقس حاجبه ان يأخذ هاشماً واتباعه الى دار الضيافة وتفرقت الجماعة كل في سبيله .

الفصل السادس

كان المقوقس في عنفوان شبابه قوي البنية طويل القامة شديد لباس صبور الوجه لكنهم أدركه في شيخوخته فاضعف جسمه ونخر عظامه وسود وجهه وخلفه عرضة للارواح والاحزان فاصبح قلق المضجع مضطرب البال مشتبك الافكار ضعيف العزم فانه قضى دهرًا طويلاً يعلل النفس بالانتقام من قاتلي ابيه ومضطهدي أمته وكان حياته شجرة ماؤها حب الاخذ بالثار فلما ظفر بهم ودفع البلاد غنيمة باردة الى غزاة المسلمين وقضى لبائنه من اليونان وألبسهم لباس الخزي والعار بعد عزم ومنعتهم وظن انه قام بالواجب عليه وان كاس العيش صفا له بعد طول تعكره اذا بالسكينة والراحة فارقتاه وتسلمت عليه الاوهام وملكه الخوف والجزع وأصاب به صوت الضمير مقررًا وموبخًا وسدى حاول ان يبرى نفسه من تبعه عمله بحجة عجزه عن الدفاع عن البلاد وردت العرب البواسل عنها وافضلية سياسة المسالمة بدل مناضلتهم في ساحة القتال فلم يغرن ذلك فتبلاً ولم يخفف شيئاً عما ألم به من الهم والغم ولما لم يكن بالطبع من عظام القواد الفاتحين او من كبار الرجال المصلحين الذين يغيرون سير التاريخ بافعالهم وتعاليمهم دعر لفعالته وتعاضم جرمه في عينيه فتمثلت له الؤف النفوس التي قضى عليها زوراً وبهتاناً وسفكت دماؤها هدرًا فاراد ترضي العزة الالهية بالتقادم والعطايا لعلها تفرج كربته وتخفف بعض جرمه وزاد في همه غضب بطريك كنيسته واتهامه اياه بمالاة المسلمين مع ان هذا البطريك كان اكثر الناس سروراً بقدمهم اذ انقذوه وقومه من رقة عبودية اليونان واطلقوا يده لينظر في شؤون ابناء ملته الدينية الامر الذي لم يتسن له قبل احثالهم وادي النيل

وكان الذين يأخذون الامور بظواهرها يحسدون المقوقس على ما اصابه من العز والفني واتفق له عند الفتح من الحوادث ما يزيد عادة في فرح المرء وسعادتة فورث عن احد السبائ تركة طائلة وعثر عبده على كنوز نفسية في المدافن لم تر مثلاً عين واجمع مجلس منف على تلقية بالعدل واقرة الخليفة وعمرو بن العاص على ولايته وعمله وفوضا اليه النظر في امور

مواطنيه والحكم فيها وكان اهل بيته يحلونه ويحترمونهم ويحبونهم يبذلون النفس والنفس في مرضاته وكانت رسائل ابنه تأتيه من القسطنطينية حاملة بشائر الفوز والسبق فتملأ بهجة وجوراً وحفيدته ماري تحفف بعض حزنه على ابيها وعمها بلطفها ومحبتها فكأنها ملاك العزاء يضمم الجراح ويحبر كسر القلوب هذا فضلاً عن اقبال مواسمه وتكاثر مواشيه وتمكن هيئته من اهل بلاده لكن هذه جميعاً زادت في تنغيص عيشه ولم تورثه سوى القلق والاضطراب فاصبح نهاره سلسلة جواهرس وليله احلاماً مزعجة

ولما رقد في مضجعه تلك الليلة التفت الى زوجته وقال

— اين باولين فاني لا اراها هنا كالعادة فهل ذهبت المسكينة الى فراشها قبل الميعاد فقالت دعها وشأنها فقد ضاق نطق صبري عن ان يسع عنفوانها وتغطرسها فقد آويناها شريدة طريدة فكان جزاؤنا الاحتقار والاهانة وكنا كمن انزل آماله بوادٍ غير ذي زرع ولا يصعب عليّ الترحيب بجميع انسبائك لا سيما المعوزين منهم فاهلاً وسهلاً بهم ولكن هذه الفتاة تحرجني وانا بشر فاذا اجتمعت بها في غرفة واحدة شعرت ان خطراً عظيماً يتهددني واهل بيتي وزد على ذلك ان اوربون يميل اليها ميلاً يقرب من الحب وهو ما اخشى عاقبته فليتها تفارقنا على عجل وتذهب الى حيث نكون بأمان من شرها

فانتهرها زوجها ونظر اليها نظرة الموبخ ثم اراد الكلام فلم يستطع لان الافيون الذي اعتاد تجرعه عقد لسانه فاغمض عينيه ونام نوماً قلقاً وكان يفيق ساعة فساعة ويحجل عينيه في انحاء الغرفة كمن اضاع شيئاً وهو يبحث عنه لان باولين اقامت على خدمته في السنتين الاخيرتين فكانت تجلس الى سريره اذا اراد الرقاد فتحدهه وتواسه بلطفها وقرصه كأنه ابوها فيرتاح لحديثها ويطرب لصوتها فكانت تريباً لعلته ومخففاً لكربته فلما غابت عن ناظره تلك الليلة افتقدها مراراً وهو يحسب انها تعود

اما باولين فلما غادرت المجلس اسرعت الى غرفتها وقد انقادت نار الغيظ في وجنتيها وعينيها اذا انضغ لها ان اوربون يريد ان يعبت بفؤادها فوجدت النوافذ مقفلة والغرفة كالاتون وكانت قد امرت الجوارى ان يفتحن النوافذ بعد الغروب فاغفلن امرها لانهن لا حظن كره سيدتهن لها فلم يعدن يفتحن باوامرها شأن الخدم في مثل هذه الاحوال فصبت بعض الماء لتبرد به وجهها وتغسل عينيها فاذا به كالماء الغالي فاسودّ النور في عينيها وتذكرت ربوع الشام وجبال لبنان حيث كانت تقضي ايام الصيف في ظل ممدود وهواء عليل وماء ندي وحنّت الى ابيها وغابر عزها وتمنت لو تعود تلك الايام برخائها وطيبها واخذت تقابل بين رغد الحياة في تلك

الربوع ايام كانت عزيزة الجانب مرعية المقام وبين ما تقاسيه من جور زوجة خالها فتنفست الصعداء وانهمرت الدموع على خديها ثم فتحت نوافذ الغرفة ولفت راسها بقناع وخرجت تريد دار القصر وكان الحر قد خفت سورتها فلما صارت في العراء مدت ذراعيها كمن يروم الطيران في الفضاء من ذلك المكان . ولم تبغ في النزول استنشاق الهواء وانما ارادت بث بعض شكواها الى من يرثي خالها ويرق لامرها ولم يكن لها في ذلك القصر النخيم من تانس اليه وتعتمد عليه الا اثنين من اتباع ابيها المخلصين لها وكلاهما يحب لها خاضع لاوامرها يرى اطاعتها فرضاً ورضاهما منة ويتفانى في خدمتها والقيام على راحتها احدهما مرضعها في ايام الصغر وهي نصف عاقلة حكيمة والثاني حيرام احد عنقاء بيتها وهو الذي شملها بعنايته بعد فقد ابيها فلما خشي ان تقع في الاسر احنال وهرب بها من دمشق نخباً في بعض اودية لبنان حتى اذا ما امن الرقيب جاء بها وبالمرضع الى مصر واستنصب ابنه معه ليقوم بخدمة سيده ولما وصلوها وضم المقوقس نسيبته الى اهل بيته خير اتباعها بين البقاء في خدمته او الذهاب الى حيث يشاؤون فطلبوا ان يلازموا قصره قريباً من سيدتهم . وكان حيرام ماهراً في تربية الخيل عالماً بادائها وعلاجها وسياستها فاقم طبيباً يطيّباً في الاصطبل وكلف بابتياح ما يلزم من الخيل وانست السيدة نفورس من المرضع حذقاً وبراعة في الحياكة والتطريز فعينتها ناظرة على الحائكات من جواربها وكانت باولين تزورها كلما سبحت لها الفرصة فيجتمع عندها يحيرام وينظر الثلاثة في خير الوسائل للبحث عن ابيها لانها لم تقنط من العثور عليه خصوصاً بعد ان تحققت ان جثته لم تكن بين اشلاء القتلى وكانت لدن قدومها الى منف قد الحت على خالها بارسال الرسل وبث الارصاد والعيون لعلهم يعثرون على ابيها وتوسلت اليه ان لا تأخذ الشفقة على ثروتها بل ينفق ما شاء منها سعيّاً وراء تلك الغاية ولقيت من زوجها شفيعاً لها لديه فاجاب طلبها وارسل كل رحالة وخرّيت لديه واوصاهم ان يضربوا في انحاء سوريا ومصر ففعلوا لكنهم عادوا بخفي حنين ولم يقفوا على اثر المفقود فعادت باولين تتوسل اليه ان يجدد البحث فاصرّ على رفض سؤالها خشية ان تبدد ثروتها في طلب المحال وافهمها ان واجباته كوصي عليها تقضي عليه ان يحافظ على مالها ثم اعاضها مما انفق في البحث من ماله الخاص فاعجبت بمروءته وشهامته وغيرته على مصلحتها ولكنها لم تثن عن عزمها ولم تضعف همتها فباعت عقداً من اللؤلؤ كان لها وارسلت حيرام ثم اعقبته بغيره ولكن على غير جدوى

قلنا ان باولين سارت تريد مرضعها في تلك الليلة فتجاوزت المنزل الى دار الخدم حيث كان معملاً الحياكة والصباغة وقلبها يخفق لئلا يراها احد الجنود او الاتباع فيفتضح امرها

وينكشف سرها فمشت الهويينا حذرة ترتقب الحركات وتصغي الى اصوات الغناء والرقص واللعب وقد علت الضوضاء والجلبة فأخذت تتأمل في تصاريف الدهر واحكام القدر وقالت في نفسها اليس من العجب العجيب ان هؤلاء الجواري على ما يقاسين من مرارة الرق وما بهن من التعب والشقاء يجدن في الحياة لذة وحبوراً وانا ابنة رجل من اعظم الناس واغناهم ونسبته حاكم وادي النيل واحدى اهل بيته اعد الساعات وانقلب بين القنوط والحزن والجزع ثم خطت بضع خطوات الى الامام فرأت الحياكات والصبغات منهن مجتمعات تحت سقيفة من جذوع النخل وقد اتقسمن فرقاً بحسب اميالهن ففرقة منهن تألبت في حلقة حول احدهن وقد اتهمكت هذه في رسم الرسوم المضحكة على الواح الشمع والباقيات يتبعن حركات يدها بعين الاهتمام حق اذا ما فرغت من الرسم عرضته عليهن واخذت كل منهن تسمي اسم المرسوم فاذا كان احد النظار الغلاظ مشوه الخلقة تعالى ضحكهن وزادت جلبتهن تشفياً منه وكان في الطرف الآخر من السقيفة فرقة اخرى من تلك الجواري يلعبن لعبة معروفة في ذلك العصر وهي ان تجلس الجارية على قيد بضع اذرع من خط مرسوم على الارض وراءها ثم تدفع حذاء الى وراء فاذا اخناز الخط تفان انها ستزوج من تحب عن قريب والا فاما ان تزوج من لا نهواه او تظل عزباء الى زمان غير محدود فلبثت باولين تتأملن وقد كادت تنسى ما انت لاجله ولما طال بها المقام وتعالى الجلبة والضحك غلب عليها الضحك ايضاً وكان القنوط فيج مكاناً في فؤادها للساوى فوقفت تضحك كالباقيات ثم حانت منها التفاتة فرأت جارية لم ترها من قبل وقد غطت رأسها بقناع تدلى الى عنقها وجلست بمعزل عن الباقيات ويدها في حجرها وعلى وجهها سمات الحزن والياس الشديدين فتأملتها باولين فرأت جمالاً بارعاً وبياضاً ناصعاً قل ان يكونا في مثلها من الرفائق . ومن خبر هذه الفتاة انها فارسية اسمها مانداني وقعت وامها اسيرتين في قبضة اليونان في الحرب التي اثارها هرقل قيصر الروم على كسرى الثاني ملك الفرس فباعهما الجند من نخامسي المقوقس فصارنا في بيته ولم تكد الابنة تبلغ الثالثة عشرة حتى توفيت والدتها بعد ان رزحت تحت نير الرق الذي لم تعتهد فنشأت الابنة يتيمة في بيت المقوقس وكانت آية في الجمال واللطيف والدعة فراها اوريون قبل سفره الى القسطنطينية واعجب بها فلما درى بذلك بعض اتباعه الاخضاء نقلوها الى مصيف لاييه في العدو الشرقية فكان يزورها هناك متى شاء ولم تستطع الفتاة على ضعفها وجهلها ان تصده او تزجره حتى احست امه بهما فامرت كبير خدماها ان يقتصن من الفتاة على نمط يمنعها من اغواء الفتيان فصلم هذا اذنيها عملاً بعادة قديمة عندهم فاثرت هذه القسوة في الفتاة تاثيراً عميقاً واصيبت من جرائها بالجنون

لكنها ظلت تعمل عملها بين الحائكات بسكينة حتى اذا ما فرغت من العمل عاودها الجنون فكانت تظن المقوقس زوجها فلما ابصرتها الخواري اسرعن اليها واتين بها الى حلقتهم ثم وقفن جميعاً وعلى وجوههن علامات السخرية والهزء وحينها تحية الاماء لسيداتهن واخذن يسألنها عن صحة زوجها وعن احوال بيتها ويتوسلن اليها ويستعطفنها لكنهن امتنعن عن ذكر اسم اوريون رحمة بها الا واحدة منهن زنجية فانها قالت لها

— وكيف حال ابنك اوريون يا مولاتي فاجابت المسكينة

— لقد زوجه من ابنة القيصر في القسطنطينية

— فاذا لم يبلغك انه عاد الى منف واستصحب زوجته معه وعن قرب تربيهما لابسين

الارجوان وعلى رأسيهما تاجا الامارة . فلما سمعت الفتاة ذلك احمر وجهها وضمت يديها الى رأسها وقالت

— او عاد اوريون فاجابتها احداهن

— نعم لقد كان امس في السفينة يتنزه مع نسيبته اليونانية

— او تعنين اوريون الجميل

— نعم ابنك اوريون

فرفعت يدها ولطمت المشككة لظمة على فمها اسالت دمها ثم صرخت بأعلى صوتها

— اقلتن ان اوريون ابني لقد اخطأتن فهو ليس ابني ولكنك عشيقى وطالما سمعته يقول

ذلك لي ولذا صلوا اذني لكني لا احبه واتمنى ان

اسنانها حتى سمع حريقها وعدت كالظلم وهي تصيح

— يا من يدلني عليه افليس بينكم من يرحم على اني ساجده فاين انت يا اوريون ثم

عمدت الى المصبغة واخذت تبحث بين الامتعة والخواري والجواري يغربن في الضحك الى ان

جاءت الناظرة وامرتهن بالانصراف الى مضاجعهن ولما ابعدت تقدمت باولين اليها فذهلت هذه

لروية سيدتها وبادرت فادخلتها الى غرفتها وبعد ان طافت غرف الممامة وتحققت ان الجواري

جميعاً فيها ما عدا الفارسية عادت الى غرفتها وقد اوهمتن انها تبحث عن المجنونة

الفصل السابع

كانت غرفة الموضع غاية في النظافة والانتقان والبساطة فسرير تدأت عليه كلة بيضاء

كالياسمين من النسيج الرقيق ثقي النائم لدع البعوض وكراسي من الخشب مغطاة بشيء من

الانسجة المصبوغة وعلى الارض حصير قش وفي النوافذ اصايص من الخزف غرست فيها انواع

الازهار يوضع اريجها فيطيب الهواء فجلست باولين صامئة صمت المتأمل الحزين حتى عادت الموضع فقالت لها

— لقد رعبني قدومك الي في هذه الساعة من الليل فهاذا دهاك
نخفت باولين اليها وارقت على عنقها تبكي وتنحب حتى ابكتها وظلت كذلك حتى رأت
المرضع ان البكاء ازال بعض غصتها وخفف كرها فقالت

— حسبك بكاء يا حبيبتى وكفاك نحيباً وهاقي حديثي فلا مريم ما هجرت مضجعك واثرت
السمير على الرقاد . فاجابت باولين والعبرات تكاد تنحرقها

— لقد ضاقت بي الدنيا على رحبها وباتت حياتي عبئاً ثقيلاً علي فهاذا يفيد العيش كريماً
يخشى غروب الشمس وانسدال الظلام ويبغي شروقها وطلوع النهار فقد عزمت على مغادرة هذا
المكان فيه شقيت وفيه اموت غماً

— ولكن يا حبيبتى ويل اهون من ويلين فبهى انا تخيلنا عن ملجأنا هذا وضربنا في مفازة
العالم فما الذي نصادفه فيها

— اذا خرجت من منف فكل مكان خيمت فيه فهو بابل وخلص وبئر ماء في ظل
نخلتين في عرض الصحراء احب الي من سكن هذا القصر المنيق ومعاناة الشقاء فيه
— ولكنك لم تكوني كذلك قبل امس فهل اعتراك ما بدّل رأيك فيه

— نعم فقد لقيت من ابن خالي الذي حسبته اهلاً للحفاوة والاكرام ما كدّر صفاء عيشي
وزاد في تعاسي ولا اراك تحيلين ما لهذا الفتى من السلطان على القلوب فانه منذ يوم وصل
شرع بهش لي ويبش في وجهي ويتقرب مني فاذا تكلم فلانما يتكلم لي او نظر فالى وجهي او
غنى فلكي اسمعه وحدي . وانا احسبه صادقاً في حبه كريم النفس طاهر النية فاذا به خداع
واذا بي مغترة فقد كان يطارحني الحب وهو يعمل على عقد خطبته على تلك الدمية كاترينا
ابنة الارملة سوسنة فهي خطيبته وعروسته

— يا وبلاه افلم يكفك ما انت فيه حتى فاجأك القدر بهذه الضربة ايضاً فانكلي على
عزة نفسك وشممك ورفعة نسبك يكن لك منها عون على احتمال مصيبتك بالصبر وقد كان
من الواجب علي ان اطالعك على دخيلة هذا الفتى وانبهك الى ما فعله بانداني الفارسية ولكني
انجمت ربثاً افق على امره واعجم عوده بعد عودته من الغربة وحسبت قلبك اميناً في مثل
درع من الزرد فاذا به كقلوب سائر الفتيات فانك احببت اول رجل طارحك الغرام
— ولكنني لا احب اوريون الان بل اكرهه ولست اطيع احداً من بيتهم

— اصبّت في كرهك له ولكن اخطأت في نفورك من اهل بيته فقد حاولوا النقر منك منذ اتينا بلادهم فصدّرتهم فما ظنك بمن يطلب مشاركتك في حزنك فيرى منك اقباضا انه يحسبك متكبرة متغطسة ويتنخى عنك واعلمي انه يستحيل على المرء تبديل اخلاق غيره بحسب ما يشاء فلم يبق لنا اذا سوى التسليم بالحالة الحاضرة والقناعة بما قسم لنا ولا غيب عليهم اذا تجنبوك ولم يأنسوا بك فان ما اصابك من الشقاء تركك عبوسة الوجه كثيلة المنظر واكثر الناس لا يروق لهم ذلك

— علي اني لم افه لديهم بشكوى ولم انبس بينت شفة بما لاقيته وما الاقيه — وذلك عين الخطأ افلا تعلمين ان في تعزية الحزاني لذة للمعزي او لم يخطر ببالك ان نفورك هذا والاصرار على كتم ما في نفسك خيبا آملمهم فالانسان ميال بالطبع في مشاركة غيره في احزانه وهو يجد لذة في هذه المشاركة اما انت فقد حرمت انسابك سرورا عظيما فكانك تصرخين باعلي الصوت ابتعدوا عني فما بي حاجة اليكم ولو كنت تشكين امرك اني خالك لكان لنا مفرج من هذا الضيق

— لقد هممت بذلك الف مرة ثم اعود فاحجم فاني كلما رأيته شاحب اللون بارد الاطراف كالميت اشفقت ان ازيد في المله وكان واحدا ختم على شفتي فلا تنفخ انما وقد جرى ما جرى الان فلا سبيل الى مخاطبته في الامر

— حسنا فافعلي ما تشائين وثقي ان اوربون لن يتعدى طوره بعد فندري بالصبر وعزة النفس فقد ياتينا الفرج من حيث لا ندري

— بربك هل اتاك نبا عن ابي فقلبي يحدثني بقرب لقائه وقد اتيك الليلة انفسم اخباره

— نعم فقد عاد النبطي الذي ارسلناه وارى بارقة من الامل تلوح لنا ولكن مهلا فما الذي اعتراك . فصاحت باولين اتني الحديث وهاتي ما عند الرجل من الاخبار — قد يكون نباه كاذبا

— ولكن عجلي به اكراما لمجد الله

— اتاني حيرام فقال لي ان الرسول سمع عن زاهد منقطع الى عبادة الله في البراري وان هذا الزاهد كان قائدا عظيما على اني لم اتمكن من مناقشة حيرام لضيق الوقت فعدا نقف على جلية الخبر منه

— ذلك ابي وافرحناه فلا توجلي الامر الى غد وهيا بنا الى حيرام فهو في الدار بصطلي مع سائر الاتباع

— مهلاً ولا تعلقي كبير امل على ما سمعت فقد يحدث ان يكون ذلك سراً لا ممعاً نخدع به ويعقبه خيبة الامل وليس من اللياقة ذهابنا الى الدار حيث الخدم والعبيد على اني ساوقظ ابن حيرام وارسله في طلب ابيه فيوافينا الى هذا المكان

ولما جاء حيرام امرته باولين باعادة ما جاء به الرسول فكان ما سمعته من الموضع وزاد عليه ان اسم الزاهد بولس وانه مقيم في جبل سيناء بين اخوانه العباد الى ان قال والنبطي لا يأتي مولاة البحث عنه الى ان يعثر به بشرط ان ننقده مالا معيناً قبل الشروع في العمل فقالت باولين — ان الزاهد ابي فلما نجا من المعركة وخال اني قُلت في من قتل تخلي عن العالم وتزهد ثم تسمى باسم يذكره بابتته فاتوسل اليك يا حيرام ان لا تبطي في البحث عنه بنفسك وساطلب الى خالي ان ياذن لك في الذهاب

فقالت الموضع — لقد سألنا خالك ذلك فامرنا بكتمان الامر عنك ريثما ينتهي حيرام من ابتياع الخيل اللازمة ولا يتم ذلك له قبل اسبوعين فاذا اراد السفر بعدهما فهو مخبر فيه — ولكن من يضمن لي البقاء في قيد الحياة اسبوعين افلا يذهب النبطي الآن

— نعم ولكنه يطلب مبلغاً طائلاً لقاء ذلك ولما كان عارفاً باللغات فقد اتخذ بعض التجار دليلاً ومترجماً لعائلته فاذا لم نرغبه في العطاء فلا يتخلى عن عمله هذا وله فيه كسب كثير فقالت باولين — وما اجرتك

فقال حيرام — الفا درهم فبهت باولين وددت امارات الحيرة في وجهها ثم صاحت — ولكن مالي في يد خالي وساجبره على اعطائي ما احتاج اليه والا رفعت الامر الى القضاة . فقالت الموضع

— ولكنك لا تستطيعينه دون رضاه لانه وصيك وهب انك فعلت فقد تمضي الايام قبلما تفصل القضية فاصبري ريثما نستطيع ارسال حيرام . فاطرقت باولين ساعة ثم قالت — ما ائمس العيش وما امر الحياة على ان الله لا يتخلى عني فقد وجدت منفذاً لنا فنعال معي يا حيرام وانتظري عند الباب الصغير المؤدي الى غرف النوم فعندي ما يسد حاجتنا ويبقى بعده الوف فقد عزمت على بيع الزمردة التي في عقد امي . فصاحت الموضع — اتبيعين تلك الفريدة التي ورثتها عن الامبراطور تيودوسيوس وهي البقية الباقية من نفائس اسرتك

— نعم ابيعها لهذا الغرض فان ابي شيخ فان وقد اصابه في اثناء الحصار من الجراح وقامى بعده من التعب ما يذهب بالعمر فانفاسه معدودة والموت يترصده فاذا اجلنا انقاذه كان في

ذلك التأجيل انصرام عمره فلا تحاولي ان تشيني عن عزمي وانت يا حيرام فاذا اخذت الزمردة
فاذهب بها غداً الى غملاثيل الصيرفي وبها منه باثني عشر الف درهم تنقد النبطي الفين منها
وتبقي الرصيد في يد الصيرفي الى ساعة نحتاج اليه
ستأتي البقية

فتح المكسيك

لا تذكر بلاد المكسيك ولا يذكر فتح الاسبانيين لها الا خطر على بال قارئ التاريخ
امم كورتس القائد السفاح الذي اجتاحها وهدم دعائم العمران الذي وصفناه في الاجزاء
السابقة . وعلى هذا الرجل وفعاله مدار كلامنا في هذا الفصل والفصول التالية
ولد كورتس سنة ١٤٨٥ من بيت قديم يقال انه من نسل ملوك لمبرديا وكان ابوه
ضابطاً في الجيش مشهوراً بحسن السيرة وكذلك كانت امه من فضليات النساء . وبعث به
ابوه الى مدرسة سلامنكا ليتعلم علم الحقوق فلم يتعلم شيئاً سوى القليل من اللغة اللاتينية
وانقن الكتابة والانشاء في لغته . وشب شكس الاخلاق كثير المشاكل على غير ما يريد
ابواه ومال الى الانتظام في سلك الجنود واقحام المخاطر . وكان الاسبانيون قد اكتشفوا امريكا
وطمحت نفوس شبانهم اليها لما فيها من اقحام الاهوال وجمع الغنائم الكثيرة فدخل سفينة من
اسطول ذاهب اليها اولى الجزائر الهندية كما كانت تسمى وعمره ١٩ سنة حتى اذا بلغ الاسطول
جزائر كناري اسرعت السفينة التي كان فيها تاركة الاسطول لكي تصل قبله الى هسبانيولا
لكن العواصف كسرت سواربها فاضطرت ان تترد على عقبها وتسافر مع الاسطول كله ثم
تركته قاصدة ان تسبقه الى هسبانيولا فسبقها اليها وباع شحمه قبل وصولها
وكان كورتس يعرف والي المدينة فمضى اليه فوجده غائباً لكن وكيله رحب به وقال له
ان والي يعطيك ما تشاء من الاراضي الزراعية فقال اني لم آت لافلح وازرع بل لاجمع
الذهب . ثم جاء والي واقنعه ان حراثة الارض اريح له من اقتحام الاهوال ونمحه ارضاً
فسيجة وكثيرين من الهنود ليقوموا له بزراعتها لكن الطبع غلب فكان كلما رأى الجنود يخرج
لاخذ ثورة الاهالي يخرج معها ويشاركها في الاعمال البربرية التي سوّدت وجه اوربا
وسنة ١٥١١ خرج القائد فلاسكت الاسباني لفتح كوبا فخرج كورتس معه وابدى من
الهمة والبسالة ما اعجب به رئيسه ومن الكياسة والظرف ما حببه الى الجنود . وفتح فلاسكت
جزيرة كوبا وجعل والياً عليها فقرّب كورتس وجعله من كتابه ثم انقلب عليه كورتس به

حين لانه وبجته على خلافه وعده لفتاة وعدها ان يقترن بها وانضم الى الحزب الناقم عليه . ولا تخلو بلاد جديدة من حزب ينقم على واليها لانه يتعدر عليه ارضاء الجميع بالوظائف والنخ . وانتدب الحزب الناقم كورتس ليمضي الى هسبانيولا ويشكو الوالي وفي الخبر الى الوالي قبل سفر كورتس فقبض عليه وكبله بالقيود لكن كورتس احتال على القيود فكسرهما وفر من السجن ولجا الى الكنيسة محتماً بها . وخاف الوالي ان يخرج من الكنيسة عنوة فوضع حراساً حولها حتي اذا خرج منها ذات يوم قبضوا عليه واعيدت قيوده وطرح في سفينة ليرسل الى هسبانيولا لكنه اخرج قديمه من القيود في ظلة الليل وانسل من السفينة الى قارب يجانبها ودفعه فصار به قليلاً ثم طرح نفسه في البحر ولجا الى السياحة وكان قوي الذراعين فبلغ الشاطئ واسرع الى الكنيسة واعتصم بها ورضي ان يقتنر بالفتاة التي ابى الافتتان بها اولاً فغفا الوالي عنه واصطلمها ووهبه الوالي اراضي فسيحة وكثيرين من الهنود ليعملوا له فيها فعكف على الزراعة واستغلال الارض وكان في اراضيها مناجم ذهب فاستخرج الذهب منها واثرى وعاش بالرفاهة والنعم مع زوجته

وشاعت في ذلك الحين اخبار المكسيك وبوكتان وما فيهما من الغنى الوافر فاستدعى الوالي كورتس وعقد له على حملة بحرية اليهما فرأى ان احلام الصبا واماني الشباب قد تحققت الآن وايح له ان يشارك عظماء القواد في افتتاح البلدان التي رأتها عين كولمبس المكتشف الاكبر ولكنه قضى قبل ان تطأها قدماه فابرت اسرته وتعيرت اطواره وكاد يطير سروراً فانفق امواله كلها في اعداد الحملة ورهن املاكه لكي يتمكن من ذلك فابتاع السفن والمؤن والاسلحة واستعان باصدقائه واعداً اياهم بحجز من المكاسب لان ظاهر الحملة كان التجارة لا الفتح وانقاذ بعض المسيحيين الذين اسرهم اهالي المكسيك ودعوتهم الى اعتناق الديانة المسيحية ومخالفة ملك اسبانيا واتحافه بالهدايا النفيسة من الذهب والفضة والحجارة الكريمة ومعرفته شواطئ البلاد ومرافئها وانواع حاصلاتها واخلاق اهلها ومقومات عمرانهم ونحو ذلك مما يسهل به التعامل معهم ويتسع نطاق المعارف . هذه هي الغايات الظاهرة التي أعد لها ذلك الاسطول ولا ندري هل كان كورتس والذين ارسلوه يضمرون غاية اخرى وهي الفتح والتغلب او كانوا مخلصين في دعواهم ولا غرض آخر لهم . ولا هل كان في الامكان مسالمة الاهالي وترك بلادهم لهم والاكتفاء بمعاملتهم ومخالفتهم ولو لم يعتنقوا الديانة المسيحية . ولكن ذلك ليس بعيداً لان اهالي البرتغال دخلوا ممالك الهند منذ قرون ولم يحاولوا امتلاكها بل اكتفوا باحتلال بعض الثغور والاتجار مع الاهالي

وكان عند والي كوبا نديم مهذار جامع بين البله والهزل والرقاعة فرآه ذات يوم ماشياً مع كورتس نحو المرفأ وقال له "كن على حذر منه أيها الوالي والأ قلب لك ظهر المحن" فقال الوالي لكورتس استمعت ما يقول هذا الرجل فقال كورتس انه مجنون ويستحق الجلد على هذا الكلام . لكن كلام هذا المجنون مرق كالسهم في قلب الوالي

وكان لكورتس كثيرون من الحساد فاكثروا الوشاية به وتذكر الوالي ما جرى له معه قبلاً وكيف عصى امره وفر من وجهه فعزم ان يعطي قيادة الحملة لرجل آخر واطلع على ذلك اثنين من اخصائه فحملا الخبر الى كورتس وأشارا عليه ان يسرع في السفر اذا شاء ان تبقى القيادة له ولم يكن قد اعد السفن الكافية ولا العدد الكافي من البحارة والجنود ولا ما يكفي من المؤن لكنه رأى في العجلة السلامة وفي التأني الندامة

وربما فات قوماً جل أمرهم من التأني وكان الخزم لو عجّلوا

فعقد نيته على السفر ذلك اليوم والليل مرخ سدوله واستدعى رجاله وأمرهم بالنزول الى السفن في منتصف الليل ومضى الى الجزار واخذ كل ما اعدّه من اللحم للمدينة واعطاه بدلاً منه سلسلة كبيرة من الذهب كان يضعها في عنقه

وقام اهالي المدينة في الصباح فوجدوا السفن كلها بعيدة عن الشاطئ ونفي الخبر الى الوالي فنهض حالاً وركب جواده واسرع الى المرفأ ورآه كورتس فنزل في قارب مسلح ودنا من الشاطئ فقال له الوالي اتفارقني على هذه الصورة أهذا جزاء المعروف الذي فعلته معك فقال كورتس قضت الضرورة علي بذلك فهل لسعادتك أمر تأمروني به فوقف الوالي حائراً في أمره ورفع كورتس يده اشارة التسليم والوداع وأمر رجاله ان يعودوا به الى السفينة وعاد الوالي الى قصره وهو يحرق الارم وكان ذلك في ١٨ نوفمبر سنة ١٥١٨ . ولعله رأى انه اخطأ خطأين الاول انه جعل كورتس قائداً لهذه الحملة وهو لا يأتمنه والثاني انه حاول تزج القيادة منه بعد ان امتلاك ناصيتها فجعله عدواً له لدوداً وهذا من فساد الرأي ولم يكن في طاقة كورتس ان يفعل غير ما فعل بعد ان انفق امواله كلها في اعداد هذه الحملة واستغرق في الدين لاجلها

وبلغ اسطوله مكاكاهي على ١٥ غلوة من سنت جاكو عاصمة كوبا فاخذ منها ما وجده في اراضي ملك اسبانيا من المؤن قائلاً انها دين عليه للملك وسار منها الى ترندال فنزل الى البر واستدعى الاهالي للذهاب معه واعداً اياهم بالربح الكثير فجاهه المتطوعون وبعضهم من جنود حملة سابقة وبعضهم من الفرسان الذين كان لهم شأن يذكر في الغزوات السالفة . وبلغه

وهو هناك ان سفينة تجارية مشحونة حنطة كانت قريبة من الشاطئ فبعث سفينة من سفنه امرتها وانت بها فكتب لرؤسها صكاً بثمنها وثن وسقها واقنعها بالذهاب معه هو وبجارتها وانت الرسائل من والي كوبا الى حاكم ترندال يأمره فيها بالقبض على كورتس او يمنعه عن السفر لانه اناط القيادة بغيره فاطلع الحاكم الضباط على امر الوالي فقالوا له لا تفعل لان الجند كله مع كورتس فيمقرقون المدينة على رأسك

ثم سار الى هافنا ورأى هناك كثيراً من القطن فامر جنوده ان يحشوا ثيابهم به حتى لا تخزفها نبال الهنود وقسمهم الى ١١ كتيبة وجعل لكل منها قائدًا محنكاً. وكان علمه من الخمل الاسود مطرزاً بالذهب وفيه صليب تحته السنة زرقاء وبضاه تمثل لهب النار وكان عمره حينئذ ٣٣ سنة وهو فوق الربعة اصفر الوجه اسود العينين كبيرها عريض المنكبين كبير العضل مشهور بالفروسة واستعمال السلاح لا يتأق في مأكله ومشربه ولا يبالى بالتعب يلبس اللباس الفاخر الخالي من الزخرفة مع قليل من الحلى الثمينة جداً وهو طلق الخيا لكنه شديد الحذر حازم الرأي يشعر من يقرب منه ان لا بد له من طاعته

لما اتم استعدادهم للسفر كان معه احدى عشرة سفينة اكبرها سفينة محمولا مئة طن وتناولوا ثلاث محمول كل منها سبعون او ثمانون طناً والبواقي صغيرات وجعل لها كلها رباناً واحداً اسمه انطون الامين وقد كان هذا الرجل رباناً لسفن كولبس في سفرته الاولى. وعد رجاله فوجدهم ١١٠ من البحارة و٥٥٢ من الجنود ومئتا رجل من الهنود وكان معه عشرة مدافع كبيرة واربعة صغيرة وستة عشر جواداً ووجود الجياد لم يكن بالامر السهل اغلاء ثمنها فان الجواد الواحد كان يساوي نحو خمس مئة ريال

وخاطب جنوده قبل سفره قائلاً انهم مقدمون على عمل يخلد اسماءهم في صفحات التاريخ وذهابون الى بلاد اوسع من كل بلاد وطائها اقدم الاوربيين قبلاً واعمر منها واكثر سكاناً فامامهم شهرة واسعة ولكنهم لا ينالونها الا بشق الانفس ولا ينال الامر العظيم الا بالتعب الكثير الى ان قال "واني خاطرت بكل ما املكه لكي انال الشهرة التي تفوق كل فنية وان كنتم تظعمون بالغنى فتقوا بي واتكوا علي فتغنموا ما لم يحلم به ابناؤ وطنكم. انتم شرذمة صغيرة ولكنكم رجال بواسل فاعتمدوا على الله الذي لم يخيب الاسبانين قط فهو يقيمكم ولو احاطت بكم زمر الاعداء ولقد خرجتم لتحاربوا باسمه فتقوا به والظفر حليف لكم

فهنفوا له فرحين وغنوا الاغاني الحماسية واقلعوا في الثامن عشر من شهر فبراير سنة ١٥١٩ فاصدين سواحل يوكتان وبلاد المكسيك

وتغير الهواء بعد ان اقلعوا وثارت العواصف فتفرقت السفن بعضها عن بعض وعثت بها الرياح حتى لم تصل الى جزيرة كرومال الا بشق الانفس وكانت سفينة كورتس آخر السفن التي وصلت اليها فرأى ان قائداً من قواده وصل قبله ودخل هياكل الاهالي ونهب ما فيها فهربوا من وجهه الى قلب الجزيرة فلامه كورتس على ما فعل لوماً شديداً واتي باثنين من الاسرى واخبرها بواسطة الترجمان ان ما حدث كان خطأً من جنوده وطيب خاطرهما فاكثرت لهما الصلاة وارسلهما ليخبرا اهالي بلادها ليرجعوا الى بيوتهم فرجعوا واعطاهم كثيراً مما معه من الحلوى والحلوى والآلات القطع واخذ بدلاً منها شيئاً من الحلوى الذهبية

ويبحث عن الاسرى الذين قيل له انهم كانوا في اسرا اهالي المكسيك فبلغه انهم لا يزالون هناك ثم اقتدى واحداً منهم بعد ان اقام زمناً طويلاً في تلك البلاد وتعلم لغة اهلها واكرم مشواه واخذه معه ليستعمله ترجماناً بينه وبينهم . وطلب من اهالي كرومال ان يقلعوا عن عبادة الاوثان ويتنصروا ولما رأى ان كلامه لا يقنعهم دخل الهياكل وطرح الاصنام منها لكي يري عبادة انها لا تستطيع ان تقي نفسها واقام مذبحاً في احدها ووضع عليه صورة العذراء والطفل وكان معه مبشران للخدمة الدينية فلم يعترضه الاهالي بل رضخوا لحكمه بعد مارأوا ما فعله باصنامهم . وترك جزيرتهم في الرابع من شهر مارس (اذار) واقلع ووجهته بلاد المكسيك الى ان بلغ مصب نهر غريجلفا فوجد الرمل كثيراً فيه يصده عن الصعود بسفنه الكبيرة فتركها وركب القوارب مع البعض من رجاله وصعد في النهر وكانت الاشجار الغيباء تظلل ضفتيه فرأى من خلالها السكان يرقبونهم بعيون ملثها الغيظ فاوجس خيفة وجعل يصعد في النهر على حذر منهم حتى اذا بلغ منفرجاً من الارض وجد فيه كثيرين من السكان مجتمعين فطلب منهم بواسطة الترجمان ان يسمحوا له في النزول على البر وقال لهم انه لا يقصد لهم شراً وانما غرضه الاتجار معهم اما هم فشهرروا اسلحتهم كمن يتهدده فرأى من الحكمة ان يخفف لهم جناحه ودار بقواربه الى جزيرة في وسط النهر ونزل عليها تلك الليلة

وما طلع الفجر حتى رأى الاسبانينيون ان الضفة المقابلة لهم قد تغطت بالهنود وقواربهم قلا النهر امامها وهي مشحونة بالمقاتلة فقال كورتس لا بد لنا اذاً من ان نلجأ الى القوة وامر مئة من رجاله ان ينزلوا الى البحر من ذلك المكان بقيادة احد ضباطه واسمه افيلا ويسيروا الى مدينة الهنود واسمها تبا سكوودنا هو مع بقية رجاله من الهنود عازماً ان يستعمل معهم الذين اولاً فان لم يفلح فالشدة وخاطبهم بواسطة الترجمان قائلاً انه لا ينبغي الا ان يسمحوا له بالنزول الى البر وانه يود الاحتفاظ بالعلاقات الودية التي كانت بين قومه وبين سكان المكسيك

وأنه إذا أريق دم أحد فهم المطالبون بذلك وهو لا يقصد سفك الدم ولا نفع لهم من مقاومته لأنه عازم أن ينزل على كل حال ويبعث في تباسكو رضوا أو لم يرضوا . فاجابه الهنود بالصراخ والنبال ولعلمهم لم يفهموا شيئاً مما خاطبهم به

فقال كورتس لقد بررت بعهدي لمولاي وأنا من دم هؤلاء الناس بري ثم أمر أن تدنو قواربه من قوارب الهنود وابتدأ الكفاح يداً ليد فكان الفوز لرجالهم فهرب الهنود من وجههم إلى البر وجعلوا يرشقونهم بالبال والعيكان المشتعلة وكانت الأرض موحلة فلصق خف كورتس بها وتعدر عليه نزعته فخارب حافياً . واصلى الأسبانيون الهنود ناراً حامية من بنادقهم فذعروا من لهب البارود وصوته ولم يكونوا قد رأوا ذلك من قبل وارتدوا على أعقابهم واحتموا وراء سور من الخشب لكن الأسبانيين وصلوا إليهم حالاً وأخرجوهم من ورائه فهربوا من وجههم إلى مدينتهم واحتموا فيها فتبعوهم إليها

وكان أقبالا قد بلغ المدينة من جهة أخرى فاحاط بها الأسبانيون من جهتين ووضعوا بين نارين حاميتين ورأى الأهالي أن لا قبل لهم بمقاومة هذا العدو اللدود فانهمزوا من وجهه وكانوا قد أخرجوا نساءهم وأولادهم وامتعثم من المدينة فجدوا في اثرها واخلوا بيوتهم للأسبانيين فدخلوها ونهبوا ما فيها فلم يجدوا فيه إلا قليلاً من الذهب . وأكثر البيوت من الطين ولكن بعضها كبير مبني بالحجر والجير (الكلس) واستولى كورتس على المدينة باسم ملك قشتالة وقال انها صارت من املاك ذلك الملك وأنه (اي كورتس) يحميها من كل عدو بسيفه وترسه وهذا كان اسلوب الفتح والامتلاك عندهم . وكتب ذلك في كتاب ووضع الشهود أسماءهم فيه

ونام كورتس ورجاله تلك الليلة في المدينة بعد أن رتبوا الحراس حولهم ونهض في الصباح وبعث فرقتين من رجاله للاستكشاف فالتقى الهنود باحداها وكادوا يفتكون بها لو لم يبلغ صراخهم الفرقة الثانية فاسرعت إلى نجدتها وارتدت الفرقتان نحو المدينة لأن الهنود كانوا كثراً جداً فنخرج كورتس من المدينة ببقية رجاله واستعرت نار القتل فالتقى الأسبانيون في الهنود بلاء حسناً حتى ردوهم على أعقابهم . واتضح لكورتس حينئذ أن البلاد كلها قد هبت لمقاومته لأنها انتفت مما جرى في جزيرة تباسكو . فندم على ما فرط منه ولات ساعة مندم ورأى أنه لم يبق أمامه إلا مقابلة القوة بالقوة لأنه إذا ارتد ضعفت عزائم رجاله ولم يعودوا يستطيعون شيئاً وطمع الهنود بالأسبانيين في كل مكان فارسل الجرحى إلى السفن وأتى منها ببقية الرجال وستة مدافع وبالخيل وكانت قوائم الخيل قد پیست من طول الوقوف ولكنها لم تجر على البر

طويلاً حتى لانت وطلبت المزيد . وأمر واحداً على المدفعية وواحداً على المشاة وابق لنفسه قيادة الفرسان وكان بينهم كثيرون من نخبة الابطال . وقضى الليل على آخر من حمر القناد فلم يغمض له جفن بل بات الليل كله يطوف حول معسكره ولما بزغ الفجر صف رجاله ليهجموا على العدو قبل ان يهجم العدو عليهم عالمًا ان شروعههم في الهجوم يقوي عزائمهم وامر المشاة والمدفعية ان يهجموا على القلب ودار هو بالفرسان لياتوا العدو من احد الجناحين او من الساقة وكانت الارض مزروعة ذرة وفيها كثير من المساقى فحصر عليه وعلى رجاله السير فيها لكن كان فيها سكة مطروقة فجروا المدافع عليها . ومشى الجنود ثلاثة اميال وكان الحر شديدًا لكن ثيابهم كانت محشوة بالقطن كما تقدم فوقتهم من حر الشمس كما حتمهم من النبال واخيرًا وصلوا الى سهل فسيح ورأوا صفوف الهنود فوقه على مرتفعات من الارض حتى اذا دنا الاسبان من منهم وهم يتعاضدون في المستنقعات صبا عليهم النبال والحجارة فنزلت على خوذهم وتروسهم كوابل المطر وجرح كثيرون منهم قبلما خرجوا من السهل وصاروا على مقربة من الهنود وللحال شرعوا يصبون عليهم نار البنادق فيحصدونهم حصداً وكان الهنود كثيرًا فلم يرعهم ذلك بل اطبقوا على الاسبان من كل ناحية فثبت الاسبان في مواقعهم منتظرين قدوم الفرسان لتجديتهم وظلوا على ذلك اكثر من ساعة حتى ضاق خناقهم وزهقت ارواحهم وبيناهم على هذه الحال رأوا التشويش في الصفوف البعيدة من الهنود فاجت واضطربت وامتد الاضطراب الى بقية الجيش وسمع الاسبان اخوانهم الفرسان ينادون باسم مار يعقوب ومار بطرس ورأوا بريق سيوفهم ولحان خوذهم وهم يخوضون غمرات الردى ويردون الهنود يميناً ويسرة فانتعشت نفوسهم واشتدت عزائمهم وخيل لهم ان ذينك القديسين اتيا لتجديتهم وذعر الهنود من الفرسان ذعراً شديداً لانهم حسبوا الفرس والفارس حيواناً واحداً ولم يكونوا قد رأوا فرساً من قبل فطرحوا اسلحتهم وفروا من وجههم ولم يكن الا القليل حتى انهزم الهنود كلهم ولم يبق في ساحة الوغى الا أشلاء القتلى والجرحى وتهلل كورتس ورجاله بهذا النصر المبين حاسبين ان الله سبحانه ارسل اثنين من قديسيه ليحارباه عنهم . وامر كورتس رجاله ان لا يقتفوا اثر العدو ثم جمعهم وشكر الله على هذا الفوز . وبنيت مدينة هناك تذكراً لهذه المعركة جعلت عاصمة لتلك الولاية

ولا يعلم كم كانت عدد الهنود بالتحقيق ولا كم قُتل منهم واكثر الاقوال على انهم كانوا خمس فرق في كل فرقة ثمانية آلاف نفس . والاختلاف كثير في عدد من قتل منهم من الف الى ثلاثين الفا ويقال انه لم يقتل من الاسبان الا اثنان ولم يجرح منهم الا مئة

واسر الاسبانيون كثيرين من الهنود وبينهم اثنان من شيوخهم فاطلقهم كورنيس وبعث معهم الى اهالي بلادهم يقول انه يتجاوز عما مضى اذا خضعوا له والّا دؤخ بلادهم وقتل كل من فيها ولم ينف عن امرأة ولا عن ولد

تخاف الهنود من هذا الوعيد وجاء بعض شيوخهم في الصباح بثياب سوداء علامة التذلل وطلبوا ان يسمح لهم بدفن قتلاهم فاذن لهم في ذلك وطلب منهم ان ياتيه رؤسائهم لكي يعقد معهم هدنة او صلحا فجاءه الرؤساء حالا بموكب عظيم وهدايا نفيسة وفي جملتها عشرون جارية حسناء واحدة منهن اصطفاها كورنيس لنفسه وتزوج بها وكان لها اليد الطولى في فتح المكسيك كما سيحيى

وعقد الصلح بين كورنيس ورؤساء تباسكا وفتش الاسبانيون عن الذهب العين ضالتهم المنشودة الذي سفكوا لاجله دماء اولئك الارباء فقبل لهم ان معادنه ليست هناك بل في بلاد المكسيك غربا فعادوا الى الغاية الاخرى التي جاؤوا لاجلها وهي تنصير الاهالي وردعهم عن عبادة الاصنام فانقاد الاهالي اليهم بعد الذي شاهدوه من فتكهم بهم. وكان اليوم التالي احد الشعانين فاحنفل به الاسبانيون احنفاً باهراً وساروا بموكب حافل حاملين سعوف النخل وسار الهنود معهم رجالاً ونساءً مدهوشين الى ان بلغوا الهيكل الاكبر فدخلوه والاسبانيون يرمون والهنود ينظرون اليهم مبهورين ويقال انهم بكوا فرحاً مما شاهدوا. ولو لم تمح حسنة القرن الماضي سيئات القرنين اللذين سبقاه قلنا انهم بكوا وحق لهم البكاء على ملكهم الذي زال وعمرانهم الذي نقضت اركانه

ولا يبعد ان تكون الديانة المسيحية قد دخلت تلك البلاد منذ عهد قديم جداً كما ابناء في الكلام على رسول المكسيك الا ان تعاليمها لم ترسخ في النفوس قبلما عاد ذلك الرسول الى اوربا فجعل الناس تعاليمه رويداً رويداً ولم يبق عندهم الا آثارها. ثم تغيرت شؤون السكان بحجى الغزاة من الجهات الشمالية فكادت تلك الآثار تمحى ولم يبق الا ظلمها حتى اذا جاء الاسبانيون تنبته الاذهان بحفلاتهم الدينية الى ما يكاد يحى منها وسهل على اهالي المكسيك ان يقبلوا ما في نفوسهم اثر منه

وودع كورنيس ورجاله الهنود وقد حسبهم الآن اخواناً لهم وعادوا الى قواربهم وسعوف الدخيل في ايادهم ونزلوا في النهر الى ان بلغوا السفن فاقلعوا بها قاصدين سواحل المكسيك ومناجم النضار وسياقي تفصيل ما فعلوه فيها في الجزء التالي

بَابُ الْمُنَظَّرَةِ

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتحجداً للادمان . ولكن العهدة في ما يدرج فيه على اصحابه فحين يراد منه كلف . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فهناظر لك نظيرك (٢) الغرض من المناظرة التوصل الى المحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعتبر باغلاطه اعظم (٣) خور الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الاميجاز تستجار علم المطولة

هواجس ام وساوس

قُلْ لِلأُولَى لَمْ يَنْظُرُوا بِمَقَالَتِي اَلْ
فَقَضَوْا عَلَيَّ بِأَنِّي مُدْكَ لُظِي حَرْبٌ عَلَى الْجَنَسِ اللَّطِيفِ عَوَانِ
لَا تَحْكُمُوا حَسَبَ الظَّوَاهِرِ وَعَلِمُوا أَن لَيْسَ ذَا قِصْدِي وَلَا مِنْ شَانِي
وَتَذَكَّرُوا أَنِّي كَرَامٌ آكَلِ رُطْبَ الْمَشَانِ بَعْلَةَ الْوَرِشَانِ

نشرت في مقتطف ديسمبر الماضي مقالة بهذا العنوان أثبت فيها ما ارتأه بعض اصدقائي في علة انقطاع السيدات عن الكتابة وختمتها بذكر ما انتهوا اليه في البحث وهو رفع المسألة الى حضرة الكاتب الشهير الدكتور شبلي افندي شميل ولبثت انتظر حكمه فيها او رد اعليها من احدى السيدات او احد المدافعين عنهن

فلما صدر مقتطف يناير رأيت فيه بدل الرد الواحد ثلثة اولها لحضرة الصديق الفاضل نجيب افندي شاهين والثاني لحضرة الفاضلة السيدة ليبيبة هاشم والثالث لاحدى قارئات المقتطف . ولما كان كل ما جاء في هذه المقالات الثلث موجهاً لاصدقائي الذين اشرت اليهم في مقالتي الاولى لم أبطل ان اجتمعت بهم وعرضت عليهم الاجوبة المشار اليها . وقبل ما نظروا فيها عقدوا "جلسة رسمية" انتخبوا خامسهم رئيساً لها وهذا العاجز كاتباً يدور خلاصة ما يجمعون عليه في البحث واطلقوا على صاحب المقالة الاول "النقيب" وصاحبة المقالة الثانية "الليبيبة" والثالثة "الادبية" . وبعد ما انعقدت الجلسة نهضت واستأذنت الرئيس في تلاوة رد النقيب ثم جلست ادون ما ارتأه فيه كل من الاربعة على الوجه الآتي

قال الاول — ان النقيب شديد الطمع في مودة صديقه ولذا اكثر من مداعبته وكأنه

واثق بعدم تطيره فلم يأنف من تعريضه لشوْم الاحلام ورجوعه من معترك البحث بنصيب رئيس الخبازين وجلوسه مجلس ايوب في المسوح والرماد ولعل الصداقة تجيز اكثر من ذلك وقال الثاني . اتهمني النجيب بجحك الحزازات وشفاء احقاد قديمة في بعض الصدور فلو صدق الجنس اللطيف مدعاه لصلاني حرباً ذات ضرام وجرعني صاب عذاب يهون عنده الموت الزؤام

وقال الثالث . اتهمني النجيب بتقسيم الكتابة الى حقيقية وعارضة وانا لم اقل هذا بل قلت ان كتابة السيدات كانت على صورة عارضة والفرق بين القولين ظاهر ولقد فسرت " الادبية " مرادي بهذا احسن تفسير في صدر ردّها فليرجع اليه ان اراد

وقال الرابع . ان في رد النجيب اوضح مثال للتناقض فانه لم يلبث بعد ما استصوب الحكم الذي اخترناه ووصفه بأنه " ابن بجديتها " ان قال " فان انصف رضىنا بحكمه والا فهو ليس بالحكم " الترضى حكومته " وهذا اغرب ما سمع في شروط التحكيم

قال الرئيس . اصدق ما قررتموه وازيد عليه ان النجيب سلم بقلة عدد الكتابات بل بعدم وجودهنّ تقريباً لانه اذا كان الكتاب يعدون حسب زعمه على الاصابع فالكتابات صفر لكنّ حضرة اللببية تخالفه في هذا وتدعي أنّ لا تقطاعهنّ عن الكتابة سبباً آخر غير قتلتهنّ او عدم وجودهنّ فليت كلا منهما اطلع على ما كتبه الآخر فكانا يأمنان هذا التناقض الذي اقل ما فيه سقوط الدعوى

ثم نهضت وتلوت عليهم جواب اللببية وجلست ادون عنهم ما يأتي :

قال الاول : ان لغة اللببية تظهرها وتدلّ على انها بالحقيقة من الجنس اللطيف لانها في دفاعها عن نفسها وعن بقية بنات جنسها اضفت علينا جانباً عظيماً من اللطف الذي بخل علينا باقله حضرة النجيب المحامي عنهنّ

وقال الثاني : اقرت حضرة اللببية صريحاً بجهلها لاقتدار بنات جنسها العلمي والادبي فلا بدع ان جهلناه نحن وانكرناه

وقال الثالث : اعترفت اللببية بان الحياة قصيرة والوقت ثمين فليتها راعت هذه القاعدة ولم تقضي الوقت الثمين باطلاً في محاولة اتهام الرجال بما تشهد السماء ومن فيها والارض وما عليها بانهم براء منه وهو عدم امتداحهم للكاتبات وتنشيطهنّ الى مزاوله الكتابة . وعندى انه لو بُعث سيف الدولة من لحدّه وادعى على المتنبّي بانه لم يفه قط في شعره بكلمة مدح له لكان تصديق دعواه هذه ايسر من تصديق دعوى اللببية على الرجال

وقال الرابع : تطلب حضرة الليبية عشرة فريكات عن كل صفحة شخطها يد سيدة وفي الضمينة بوجود سيدات كثيرات يكتبن . فلا بأس من ان ينشئ احد الرجال مجلة شهرية ذات مئة صفحة وينتدب لتحريرها لجنة من السيدات باجرة خمس مئة جنيه في السنة وانا الضمين له' برجح يفوق الحساب ويسوق اليه الخراب من اقرب الابواب فقال الرئيس : ان السيدة التي تستحق هذه الاجرة الفادحة لم تخلق بعد في الشرق والتي لا تكتب الا على هذا الشرط ان تكتب ابد الدهر فيستوي وجودها في عالم الادب والعدم وتكون اناملها بالحقيقة لا نقوى على "اهتصار الدراع واجتذاب القلم"

ثم نهضت وتلوت جواب الادبية وجلست اكتب الرد الاتي عليه

قال الاول : اراها في هذا الجواب اصاب كبد الصواب كأنها أوتيت الحكمة وفصل الخطاب وقال الثاني : وانا اثني ذلك

وقال الثالث : لا أبدي ولا اعيد

وقال الرابع . وانا حسبي فلا ازيد

حينئذ نهض الرئيس وقد لاحت على محياه علامات الجد والاهتمام واسترعى منظره الاسماع فقال :

ليس يخاف على احد منا اننا في جلستنا الاولى فوضنا الى كاتب هذه الجمعية ان ينشر ما دار بيننا من البحث في هذا الموضوع الخطير الذي فتحنا بابه عفواً من تلقاء انفسنا لا نقصد به الا امرين لا ثالث لهما الاول تشويق القادرات من الجنس اللطيف على الكتابة الى مزاوله ذلك كلما سمحت لهن الفرصة ولا حاجة الى اظهار الفائدة الناتجة منه لان الرجال شديدو الولوج بمطالعة ما تكتبه النساء فيقبلون عليه كل الاقبال ويستفيدون من الوقوف على امور كثيرة تعلمها النساء بالاخبار وهي مجهولة عند الرجال واذا اضعنا الى هذه الفائدة فائدتين أخريين وهما تقدم الكتابات في العلوم والآداب واقتداء كثيرين من الشبان بهن في هذا الامر تصبح الفائدة اعظم مما يحيط به الوصف . والثاني اطراء كاتباتنا واذا عافى فضلهم لان المصاعب التي تعترضهن في طريق الانشاء اكثر جداً من التي تعترضنا نحن . وقد سبقني الادبية الى ذكر اهم هذه المصاعب وهي اللغة او ملكة الكتابة الصحيحة . فاذا كنا نحن الرجال نقضي السنين الطوال في تعلم قواعد اللغة من صرفها الى بيانها ونحني الاقلام ونستنفد الحبر والقرطاس في التحرير والانشاء ونظل من حيث غزارة المادة اللغوية وامتلاك ناصية اللغة الفصحى والاخذ باطراف البيان في فقر وضعف وعجز لا مزيد عليها فما قولنا بالسيدات

اللوائي لم يستطيع ان يثفر غنً لشيء مما تفرغنا له نحن
ثم ان كتب الادب الموضوعة في اللغة العربية لاقتباس التعبير الفصيح والتركيب البليغ
ليست متفقة في وحدة النفس والمنهاج كما هي في اللغات الاوربية ليستفيد من يطالع كتاباً
واحداً منها ما يغنيه عن مطالعة غيره من الكتب الموضوعة لهذه الغاية بل لكل كتاب منها—
ثراً كان او شعراً— نفس خاص لا يرى له في الكتاب الاً ما يخالفه وينافيه. وليس
هذا المانع الوحيد الذي يحول دون استفادة النساء منها بل هناك مانع آخر وهو عدم خلوة
كتاب منها بما ينكره الادب الصحيح ويستجبه الذوق السليم ويقضي على كل رجل منا ان
يمنع مطالعته عن شقيقته او خطيبته او قرينته

وكان هذه العقبات كلها لم تكن كافية لتثبيط هممنا واضعاف عزائمنا وحبس اقلنا مناعن
الجولان في مضمار الطروس بما تلمي عليها الافكار والتصورات حتى قام بعض علماء اللغة يغلقون
في وجوهنا باب التعريب المفتوح في كل لغة حية نامية ولم يكنهم هذا ايضاً بل شدوا علينا
الخنق من جهة اخرى وهي انهم لا يميزون لنا استعمال كلمة فصيحة الاً بالمعنى الحرفي الذي
وضعا له العرب وقيدوا به الصحاح والمحيط ولسان العرب وغيرها من كتب اللغة دون ان
تجاوزهم الى معنى اخر يقرب منه على طريق المجاز والاستعارة او يتصل به بوجه من الوجوه
ولما فرغ الرئيس من خطبته هذه تلوت عليهم كل ما كتبتهم عنهم فصدقوه ووقعوه
واستأذنتهم في نشره فاذنوا لي بالاجماع وكان ذلك خاتمة الاجتماع

اسعد داغر

القاهرة

الشعراء المحافظون

وفي النفس اشياء لوقع اقلها تكاد جلا مبد الصفا لتصدع
علما فقلنا ما علما كما ترى ولكن علينا الفعل صعب ممنع
ومادام هذا الشأن باصاح شأننا فلا القول يجدينا ولا العلم ينفع
أبي صديقي الكاتب المدقق نجيب افندي شاهين الاً ان يجندني بلطف اسلوبه وحسن
تناوله الى خوض مبحث ان امنت الفرق في تياره لم اسلم من البلك . وان اجمعت عن
الاجابة قضى عليّ شرع الادب باللوم والعذل . فساجيب وفاء بالوعد وانا اقول مكره
اخوك لا بطل

من الاقوال الماثورة " الحقيقة أن نقال لا أن نعلم " لان الناس في الشرق والغرب

يعلمون حقائق كثيرة لكنهم لا يقولونها لمسامها بالشرائع الدينية او القوانين السياسية او القواعد الاجتماعية او غيرها من الاسباب التي لا محل لذكرها هنا . فتودع غيابات القلوب واعماق الصدور . ولا يؤذن لها ان يفتح بها الفم وينطلق اللسان . الا متى زالت هذه الحاذير وانقطع خوف الانسان من الانسان

ولكننا نحن الشرقيين مصابون والامر لله يخبط آخر اجل من هذا واعظم اذ لدينا فوق الحقائق التي نعلمها ولا نستطيع ان نقولها حقائق اخرى كثيرة علمناها وقلناها اذ لم يكن في قولها ما يخالف مبدأ او يناقض معتقداً لكننا لسوء الحظ وقفنا عند حد العلم والقول ولم نقرضها بشيء من العمل . اذ الحقيقة عندنا ان نعمل لا أن نعلم ونقال . لان أكثر ما جاء في مقالة حضرة النجيب من الحقائق التي علمناها وكثيراً ما قلناها واما فعلها او العمل بموجبها فالى الآن لم نجمع عليه . فهو مصيب كل الاصابة في حكمه على شعرائنا بانهم محافظون على القديم لا يفكرون في خله ولعله اوجس خوف المناقضة او الاعتراض فلم يصرح في حكمه كما اراد وكما هو الواقع . اما انا فاقول بكل صراحة ان كل الشعراء اسواء في التزام التقليد والافتداء والفرق بين افرادهم الذين تسامح مريدوهم في تسميتهم بالشعراء العصريين او الاحرار في اصطلاح صديقي النجيب — وبين بقية الشعراء هو نسي لا يحسب عند التحقيق فوقاً وكأنه بإيماءه الى اللغات الاجنبية يريد أن انقان واحدة منها يعين الشاعر العربي على نزع التقليد واثبات الجديد وليس من ينكر عليه ان التضلع من احدى اللغات الغربية يزيد بضاعة الشاعر ويوسع دائرة تصوراته لكنه قلما يجدي نفعاً في تحصيل القصد . ومنى كانت العلة باطنية لا يفيدتها استعمال المرام على ظاهر الجلد . ومن السهل جداً ان تقترح على الشعراء او نكلفهم خلع القديم البالي والتزني بالجديد الطلي الأنيق ولكننا لا ندري أي جراح دفين في صدورهم ننكأ بمثل هذا الاقتراح . ولم يكن صديقي النجيب بأول من أثار الحزازات ونقض الكلوم اذ قد سبقه كثيرون الى ذلك ولم يجاروه في الاتقاد بلسان الرفق واللفظ بل اشرعوا على الشعراء اسنة اللكر والوخز واطلقوا نوحهم اعنة الهمز والغمز حتى جعلوهم لرياح التهكم مهزاً ولسكاكين الازدراء محزاً

وهذه شعراء العصر تحسبها اوفى ثواب لها في حاضر الزمن

فقل لمن لام مرزوقاً بسيئة يعدها منة من اعظم المنن

” يقضي على المرء في ايام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن ”

فقد علمنا ان شعرائنا ليس كما ينبغي أن يكون هذا للشعراء وهم مثلنا يريدون ان

يجاروا شعراء الغرب وحاولوا ذلك مراراً عديدةً فما استطاعوا لذلك سبيلاً ولم يجدوا انقاس
اللغات الاجنبية فتبلاً بل زادتهم معرفتهم بها نفصةً وتحسراً لانهم رأوا في الشعر
الاجنبي اشياء كثيرة استحسنوها وودوا من صميم قلوبهم نقلها الى الشعر العربي فلم
يقدرها . ولماذا ؟ لأن اللغة لا تطاوعهم على ذلك . هذه هي الحقيقة ولا ينكرها الاً المكابر
او من كان ليس بشاعر . وتفصيل ذلك أن الشاعر الاوربي عند ما يخلو بنفسه للنظم في اي
موضوع اراد يستكث قريحته ويشخذ غرار تصوثراته لاستنباط المعنى ورسم صورته في ذهنه ومق
توفيق الى ذلك وتبلياً له التصوثر المراد والتخيّل المطلوب عمد الى خزانه ذاكرته وفتحها فرأى
ما شاء من مترادفات لغته واساليب تعابيرها المنطبقة على قواعد الصرف والنحو والمعاني والبيان
والمفهومة حتى عند عامة امته واطفالها والمقبولة عند خاصتها وعلمائها وكلها معدة وصالحة لتمثيل
كل صورة ذهنية والتعبير عن كل معنى خيالي

اما الشاعر العربي المنكود الجد السيئ الطالع فقد يكون اسيل من الشاعر الافرنجي قريحته
وامضى ذهنه واغوى تصوثره . فذاذا بقي عليه بعد التصوثر والتخيّل . يبقى عليه كل شيء لأنه
اذا كان ممن رزقوا بعض الامام باحدى اللغات الاجنبية واراد مجازاة شعراء الافرنج في النظم
وفتح خزانه ذاكرته لا يرى فيها سوى الالفاظ العامة واذا استعان بما في محفوظه من الكلمات
الفصيحة لا يرى بينها لفظة تعبر عما يريد وصفه بالتدقيق كالشاعر الافرنجي وان رأى لها
بعد الجهد الفاظاً تفي بالمعنى المراد كانت غويصة غامضة يعسر فهمها على الخاصة فضلاً عن
العامة . والاقتراح على شعراء هذه الايام أن يجاروا الافرنج ليس فقط في التدقيق في الوصف
والتعبير عن حقيقة العواطف حتى تحي القصيد اشبه بالصورة بل في التزام البسط والجلاء
حتى لا يقل الشعر عن النثر في سهولة النظم ووضوح المعنى بحيث يفهمه اولادنا كما يفهم اولاد
الافرنج اشعارهم . وبما اقل عقل من يُعل نفسه بمثل هذا الحال

وعند ما يرى شاعرنا أن الكلام العامي لا يصح أن يتخذ قالباً لسبك المعنى الذي اراده
والكلام الفصيح لا يفي به او يفي ولكن لا يفهمه احد الا هو والقاموس الذي اخذه منه يحو
من ذهنه صورة المعنى التي رسمها على وجه التدقيق والاحاطة ويعرض على تخيلته الصور
البسيطة التي رسمها هو قبلاً او كثيرون غيره من شعراء العرب لمثل هذا الموضوع فيختار منها
واحدة سهلة المأخذ قريبة المنال ويلبسها الالفاظ المعدة لها في ذاكرته ويزينها بالاستعارات
المألوفة والشائبة المعروفة ويرسلها كما جاءت لا كما اراد

هذه علة محافظة شعرائنا على القديم وهي فاشية بين كتّاب النثر ايضاً فمصائبهم ومصائب

الشعراء فيها واحد . والافايء كاتب عربي يجسر على القول انه ظافر من الكلام الفصيح
الواضح بما يقدره على مجارة كتيبة الافرنج في وصف كل ما جال في خاطره وتصور في ذهنه
من الخواطر والافكار . بل ايء كاتب منصف من كتابنا لا يعترف بانء يعرض له كل يوم
عقبات تحول دون ادراكه الغرض وتضطره رغم انه ان يترك جوهر المعنى ويقنع بالعرض
اذا من مهمه اصلاح شأن الشعر العربي فليفضل بازالة هذا المانع من طريق ارباب
الشعر والنثر وله خالص الحمد وجزيل الشكر . والا فذرهم باصاح يهيون في اللوى والبان .
ويعيدون على قلب الصب الوهان . ذكرى مسارح الآرام ومنازل الغزلان . ودعهم يستعذبون
وادي النقا والعذيب . ويحنون الى المنحنى والحبيب . فما يرون بعد ماء وجرة ماء ولا يؤثرون
على ارواح نعمان هواء

بقي ان الصديق النجيب اراد بكلمة الطباء في قوله "كطباء يرحن في بستان" الحسان
او الطباء الانسيات بدليل قوله بعد ذلك "علي اني رأيتها تنفر وتلتفت وتمرح في بستان"
وقد انكرت عليه كلمة بستان وارتابت ابدالها بالبان ونحوه لغاية حصر كلمة الطباء في معناها
الحقيقي وعدم مجازها الى الحسان حتى لا يكون المشبه والمشبه به واحداً ويقال هكذا "كطباء
يرحن بين البان" فالمقام يقضي ان يكون معنى الطباء الغزلان ليصح التشبيه ولكن ذكر
البستان يصرف الطباء عن الغزلان الى الحسان . والله اعلم
اسعد داغر

الاعنصاب وحيوية الامة

كتبت مقالة الى المقطم الاغر عن اعنصاب العمال على اثر اعنصاب عمال الخياطين في
القاهرة وبحث في الموضوع من الوجهة الاقتصادية . وقلت في عرض الكلام ان الاعنصاب
دليل على حيوية الامة . فقامت قيامة حضرة الكاتب المجيد اسعد افندي داغر وكتب مقالة
في المقطم ذهب فيها الى عكس ما ذهبت اليه في مقالي وقال ان فريقاً من الكتاب قام بقول
ان الاعنصاب دليل على "حيوية" الامة واعاد ذلك مراراً وتكراراً حتى ظهر لكل من قرأ
مقالته انه انما كتبها ليفند تلك "الحيوية" . ولم يكتب بذلك حتى قام يستجير بصفتان
المقتطف فنشر فيه رسالة بعنوان الاعنصاب عاد فيها الى "الحيوية" يذكرها ويفندها كأن
ذكرها يلذ له او كأنه "هو المسك ما كثرته يتضوع"

قلت ان الاعنصاب دليل على "حيوية" الامة وهو قول تسنده الادلة ومن ادلى
اننا لا نسمع بالاعنصاب الا بين الامم الحية النامية البالغة ذرى التمدن كالامم الاوروبية فلا

نسمع به بين الامم الاسيوية كالهنود والصينيين مثلاً
وربّ معترض يقول انه ان كان الاعنصاب دليلاً على "حيوية" الامة فهو ليس كذلك
في مصر لان العمال الوطنيين انما اكرهوا على الاعنصاب مسوقين اليه بسطوة العامل الاجنبي وما
كان يتخذ من وسائل الارهاب والتهديد لمنعهم عن العمل . فاجيب انه لو لم يكن العامل الوطني
(والسوري يدخل ضمن هذا) مستعداً للاعنصاب قابلاً له لم يمل اليه اذنًا صاغية فهو لم يقدم
عليه خشية الارهاب والوعيد بل عن استعداد وقابلية لان له بالقانون كافلاً لحقوقه ضامناً
لمصلحته رادعاً للعابث بامنه ذائداً عن حوضه ممن يروم به سوءاً

وانا في حوادث التاريخ الماضية مؤيدٌ لهذا القول . فقد ظالما كتب كتّاب الفرنسيون
ضدّ ظلم الملوك قبل الثورة الفرنسية المشهورة وظالما حرّضوا الشعب على قلب الدول وثُلّ
العرش فلم يسمعوا لتخريضهم رجع صدّى حتى اواخر القرن الثامن عشر حين كان الشعب
مستعداً للعمل فقام بثورة عظيمة لم تبق ولم تذر . وهكذا جرى في ممالك اخرى

وخلاصة القول انه لو لم يكن العامل المصري مستعداً للاعنصاب ما اقدم عليه فالاعنصاب
اذاً دليل على روح جديدة تدب في صدره سببها "الحيوية" وتنتجتها تحسين الحال والمآل
نجيب شاهين

المصرية والانشاء

حضرة منشي المقتطف الفضلين

اكتب هذه السطور الآن وانا على يقين انه لا يوجد في القطر المصري كله عشر نساء
مصريّات يمكنهنّ الرد على ما اكتب او الاعتراض على ما اقول ولست بمستغرب ذلك
لاني على يقين ايضاً ان كل نائنا (الا عدداً قليلاً جداً) لا يعرفن من صناعة الكتابة
والتحرير غير اسمها

ولا اقول ذلك خطأ من كرامة المرأة المصرية في عيون القراء او محاولة تخفيض
مقامها او تحقير شأنها لاني اغار عليها غير شديدة واود من كل قلبي انها تتقدم وترتقي حتى
يتسنى لها ان تساوي الرجل في كل شيء

ويعلم الله اني لم اكن اود الخوض في موضوع يتعلق بالمرأة المصرية لان الامر لا يخلو
من كلمة مكدرّة او عبارة تضحك وتبكي ولكن ما العمل وقد رأيت السكوت لا يجدي نفعاً بل
سيزيد الطين بلة وخصوصاً في هذه الايام حيث صدر مقتطف ديسمبر وفيه مقالة لاديب

أقلقتهم الهواجس والوساوس فأخذ يتساءل عن سبب امتناع الجنس اللطيف عن الانشاء والتحرير وعن اطراد الجري في ميدان النهضة الجديدة " التي برزت في مصر وسورية وعليها من العزم طراز بديع ولها من الرونق ثوب قشيب وفيها للجنس اللطيف - نساء الشرق - أكبر نصيب "

وقد وقفت عند قوله " نساء الشرق " واخذت أسأل نفسي ترى هل المرأة المصرية معدودة بين نساء الشرق اللواتي هنّ في هذه النهضة أكبر نصيب ؟ وكـم ترى كان مقدار نصيبها فيها ؟ فأخذت أراجع مقالة حضرة الكاتب وقد زاد تأملي فيها لملي اظفر فيها بشيء من ذلك فوجدته يحيل القارىء على جرائد مصر والشام ليرى فيها كم للجنس اللطيف من آثار الافلام تظفر ببالي حينئذ ان اجمع كل جريدة وكل مجلة نشرت شيئاً تحت امضاء سيدة لكي اتحقق الامر بنفسي واعرف كم هنالك للنساء المصريات من مقالات ورسالات لكنني وجدت الامر صعباً فضربت عنه صفحاً ولم ألبث بعد ذلك ان تولاني الارتباك واعترتني حيرة شديدة لانه عسر عليّ ان اصدق ان المرأة التي تخرج من المدرسة قبل الثالثة عشرة من عمرها ثم تدفن بين اربعة جدران الى ابد الابدين هي نفسها كانت يوماً ما كاتبة لخبره

وقد زادت الصعوبة في تصديق ذلك وزدت انا تأكداً بصحة اقوالي لما صدر مقتطف يناير وليس فيه دفاع او بيان او رد بيد كاتبة مصرية

ولا غرو في ذلك فالمصريات لا يعرفن شيئاً من قراءة " الجرائين " و" المكتبات " (اي الجرائد والمكتب كما تسميها نساؤنا) ولا تتكرم الواحدة منهنّ بمسك جريدة الا اذا ارادت فرش طاولتها او تزيين دولابها

ولا يتوهمن احد ان مرادي ان ارمي المرأة المصرية بقلة الادراك لان هذا ليس قصدي بل غاية المراد هو ان انبه اذهان رجالنا الى حقيقة حال المرأة المصرية لعلهم يقلعون عن عوائدهم القديمة التي حالت دون تقدمها في المعارف والعلوم ولئلا يظن احد ان المرأة المصرية كانت فيلسوفة زمانها وكاتبة عصرها واوانها فيرضى ببقاء الحال على حاله وهناك المصيبة الكبرى والخطر الشديد

ليت شعري كيف يتأتى للمرأة المصرية ان تصير كاتبة ماهرة في وصف اخلاق الناس وعوائدهم وطباعهم وهي لا ترى طول عمرها غير طباع ابيها وامها وشقيقها وشقيقتها واني لها ان نصير كاتبة ماهرة في وصف البلدان والاماكن ومناظر الطبيعة وهي لا ترى طول عمرها غير بيت ابيها وزوجها والطريق الموصل بينهما


وأنى لها ان تصير كاتبة ذات مادة غزيرة وهي لا تعرف من احوال العالم غير ما يجري في بيت ابيها

وأنى لها ان تصير شاعرة وهي لا نتصور طول حياتها غير العفاريث والجن وليس لها ما يجلو فريحتها من المناظر غير منظر ابواب البيت وحيطانه وليس لها ما لتغزل به غير موقد النار ومكنسة الارض وخشب السقف

هذه كلها معضلات لا افهمها فان كان هناك من يفهمني اياها ويريني كيف كانت المرأة المصرية تشي مقالاتها ويعرفني لماذا امتنعت عن الانشاء الان فليأتني بما عنده وانا له من الشاكرين المنصورة
اسكندر تادرس جبل

جائزة خورشيد ٢٠٠٠ جنيه

اعلنت عن هذه الجائزة في جريدة المقطم والاهرام والمؤيد وطلبت ممن يريد الحصول عليها ان يناظرني في جريدة المقتطف

الموضوع  حكمت محكمة مصر الابتدائية الاهلية في جلستها المدنية بصفة استئنافية في قضية ضدي موضوعها ان المياه اتلفت الخافقي . وكان المهندسون الذين تعينوا للنظر في هذه القضية حضرات محمد افندي فضلي واحمد بك عزي واحمد بك كمال قد حكموا بطريقة غير علمية فضلاً عن تناقض تقاريرهم ان المياه اتلفت الخافقي - وترافعت بشخصي واثبت للمحكمة بالطريقة العلمية والتجارب فساد تلك التقارير وان المياه تصلح الخافقي على فرض ملاصقتها له . وكذلك اثبت بالطريقة العلمية والعملية والتجارب بواسطة ارنيك من زجاج صورت فيه هيئة المكان المتنازع فيه انه لا يمكن سير المياه افقياً في عرض الجسر الفاصل بين الزرع والخافقي مسافة ٤٠ سنتيمتراً . وطلبت من عدالتها (اولاً) ان تحلل كمية من الخافقي المتنازع فيه في المعمل الكيماوي ليكون قراره نقطة الفصل في الدعوى (ثانياً) ان تعين لجنة من المهندسين الذين تعتمد نظارة الاشغال على معارفهم ليقدموا تقاريرهم بالطريقة العلمية ويقنعوا المحكمة (ثالثاً) ان تنتقل المحكمة الى مكان النزاع وتعين الجسر المذكور المتروك في ارضي بين الزرع والخافقي (الذي اعترف بوجوده احمد بك كمال وانكره الخبيران الآخرون) فان كان تراباً جافاً تكون تقارير الخبراء باطلة ومدافعي العملية حقيقية وان كان مبلولاً قليلاً أو يشم منه رائحة البلل تكون التقارير حقيقية ومدافعي العملية باطلة - فرفضت المحكمة طلباتي وحكمت ضدي مستندة على اني مصمم على فكرة علمية اعتقد صحتها ولكن كثيراً من

التجارب ما لا توافق العلم . وحيث ان هذا الحكم مطاع على كل حال وانما من وجهة علمية لا يمكنني السكوت فقد خصصت هذه الجائزة من مالي ان يقتضي بالطريقة العلمية (اولاً) ان المياه تلتف الخفاقي على فرض ملاصقتها له (ثانياً) ان المياه التي نحن بصددتها تسير في عرض الجسر وتصل الى الخفاقي المذكور . وملكي بشارع مصر القديمة ضامن لهذه الجائزة — فمن اراد الحصول عليها فعليه بمناظرتي في جريدة المقتطف واحب ان يكون حضرات الخبراء المذكورين اول المستحقين

❖ البحث العلمي ❖ قرّر الفلاسفة السابقون والحاضرون انه لا يثبت امر على الا اذا امكن اثباته بالحس والعيان والتجربة ولا يُبنى امر على الا بعكس ذلك . فبناءً عليه سأشرح الطريقة العلمية واطبقها على اشياء عملية واقعية معلومة لكل عالم وجاهل فاقول

❖ الكلام على هل المياه تلتف الخفاقي ❖ كلمة خفاقي ليست عربية وبعد البحث الدقيق ومساعدة حضرات علماء الآثار وجدت انها مصرية قديمة هندسية وهي باللسان المصري "خابق" ومعناها البياض القشرة المركب من جير وحمرة ورمل حرش يُزج بالماء ويوضع في جدران الحيطان الملاصقة للمياه او الرطوبة لحفظها من تأثير المياه فيها . ثم ترجمت الى اليونانية Hydraulic plaster ومنها الى الافرنكية Hydraulic plaster ومنها الى الاصطلاح الهندسي العربي اي البياض القشرة المائي . واستعمل مهندسو الاسلام كلمة خابق وقت الفتح المصري ثم حُرِّفَت على توالي الاعوام الى خافقي وصارت معلومة عند المهندسين والعوام ان معناها البياض الذي يوضع على الحيطان ليقبها من تأثير المياه . ولما شيد المسلمون المساجد استعملوا هذا الخابق في مراحضها (ميضها) ومراحيضها (كنفها) ومغاطسها لانهم شاهدوه في السواقي والآبار والحمامات القديمة وفي الآثار المصرية القديمة التي مضى عليها الاف من السنين الى يومنا هذا وهو في حالة جيدة . ويعلم من ذلك كل احد من اي طبقة ان الخافقي هو البياض القشرة الذي يوضع في الحيطان الملاصقة للمياه او الرطوبة لكي يحفظها وان المياه لا تؤثر فيه الا تأثيراً نافعاً

❖ التركيب الهندسي للخفاقي ❖ هو جير وحمرة ورمل حرش^(١) وماء بمقادير معينة علما المهندسون القدماء بواسطة التجارب وضبطوها ودوتوها في الكتب حتى تكون قاعدة لمن يخلفهم . ومما يثبت قولي هذا هو انه لما شرعت الحكومة في بناء الخزانات شرع المستر

(١) بهز من عيون مهزة اتساعها معلوم ثم يؤخذ ويهز من عيون مهزة اصغر من الاولى وحينئذ يكون

وبلكوكس المهندس الشهير في عمل قاعدة مضبوطة لمقادير المون المختلفة الانواع في التركيب لكي تصير قاعدة للبناء وعليه كلفني جنابه بعمل ذلك وفعلا مكثت نحو السنة وانا ادير تلك الحركة بنفسى واضع كل مونة بتركيبها المختلف في الماء حتى لتماسك وبعدئذ اعرضها تحت قوة ضغط وقوة شد Compression and Tension وارصد حساب قواها الى ان توصلت بعد البحث الدقيق الى مقادير معينة من كل نوع من المون المائية كالخافقي (البياض القشرة المائي) ومونة الاسمنت ومونة الحمرة والجير ومونة الجير والطين وهلم جرا ووجدت مونة الخافقي اقوى الجميع

ومعلوم من قديم الزمان ان من مونة الخافقي تبني المباني المائية في وسط البحور والترع كافة وعندئذ يطلق عليها الاسم العلمي Hydraulic mortar اي المونة المائية وكما دلت التجربة التي عملتها الفرق في عينة الرمل والاحتراس جدا في كيفية استعمال المياه وقت المزج كما يحترس وقت مزج مونة الاسمنت

السبب العلمي لتماسك مونة الخافقي في المياه وهو

<p>وجعل الله في ناموسه الطبيعي ان تلك المواد اذا اجتمعت بمقادير متناسبة تتحد بعضها ببعض وتصور جسما صلبا بشرط ان تكون في وسط المياه او الرطوبة</p>	<p>تركيب الحمرة</p>	أكسيد الحديد ومنه
		اللون الاحمر
		الساكنات غير الادراتي
		الومين
		أكسيد الكالسيوم
	الجير	سليس وغيره
	الرمل	أكسجين
	الماء	ادروجين

وكان الواجب على حضرات الخبراء الذين تعينوا في هذه القضية ان يوضحوا للمحكمة الطريقة التي خرقت حرمة هذا الناموس الطبيعي والعلم المنير وبني عليها تلف الخابقي (الخافقي) ولكن اذا سلمنا بالمستحيل وجاربنا الخبراء على افكارهم وقلنا ان المياه اتلفت الخافقي . فما سبب تلف الخافقي على جدران الحيطان غير المجاورة للزرع والبعيدة عنه مسافة ٢٥, ٥ وهذه المسافة قررها احمد بك كمال في تقريره وانكرها محمد افندي فضلي في تقريره واثبتها في الرسم الذي رسمه عن هيئة المحل وانكرها احمد بك عزي بالكليّة ولم تنزل (المسافة) على حالتها ثابتة

وعليها آثار قديمة منذ آلاف من السنين — وهذه نقطة مهمة استلقت انظار المناظرين اليها
واذا كان احد المناظرين يريد ان يثبت بطريقة غير علمية اي بطريقة التجارب ان المياه
تتلف الخفاقي فما عليه الا ان يرشدني الى المحلات التي تلف فيها الخفاقي لكي يحلل في العمل
الكياوي ليُعلم ما اذا كان هذا التلف حصل عن رداءة مونه في التركيب الهندسي او عن
تأثير المياه فيه واحب بنوع خاص ان حضرات الخبراء يرشدوني عما ذكر

الدليل العلمي والعقلي على تلف الخفاقي المتنازع فيه بسبب رداءة تركيب مونه حسب الهندسة
قرر احمد بك عزي ان لا بد من اعادة الخفاقي وابعاد الزرع عن الحيطان حاسباً ان المياه
تتلف الخفاقي مع انه قرر ان المياه لم تؤثر في الحيطان المركب عليها هذا الخفاقي وهذه الحيطان
بما فيها الزاوية المتنازع فيها من ضمن ملكي قديمة ومونها قديمة مركبة من طين وجير وقصر مل
مضى عليها زمن طويل كما اثبت ذلك احمد بك كمال الخبير الثالث في تقريره من الحجة
والرسم مشترانا من الحكومة وحافظت على هذه الزاوية ١٣ سنة وتنازلت عنها للاوقاف وبعدها
حالا تنظر عليها المدعي ورفع علي هذه القضية — قلت ان المونة قديمة ومقرر علمياً هندسياً
وكما وياً ان تركيب هذه المونة تؤثر فيه المياه او الرطوبة ولو قليلاً جداً وتحللها (المونة) وتذويها
كما تحلل المياه ملح الطعام وتذوي به — أبتصور عقل عادل امي ان المياه التي تتلف الخفاقي
وتقر من حائط عرضه متر وتسبب رطوبة في ارضية الزاوية كما قال احمد بك عزي لا تؤثر
في مونة الحيطان القديمة التي مضى عليها نحو ٧٠ عاماً من وقت ما أسست في زمن المرحوم محمد
باشا جد العائلة الخديوية . وفي خلال تلك المدة كانت تلك الحيطان فاصلاً بين جنيئة فيها
مصلّى صغير للشغالة في الورشة وبين معمل كياوي لعمل البارود للحكومة . وهذا امر واضح في
الرسم والحجة المشار اليها . واذا قيل ان الرسم والحجة لا يعول عليهما فضلات المواد
الكياوية الموجودة على الحيطان المذكورة الى الآن تؤيد ذلك والدليل العلمي والعقلي على
ان الخفاقي تلف بسبب رداءة مونه في تركيبها الهندسي هو ان مؤنة الحيطان القديمة المذكورة
باقية على حالها الى الآن وكما اثبت ذلك احمد بك كمال في تقريره . وحينئذ لا دخل للمياه
في هذا التلف على فرض ملاصقتها له

الكلام على الرطوبة لا ادري كيف ان احمد بك عزي ينكر بعد ان طلبت منه
مراراً ان يثبت في تقريره وجود البئر والسبيل والزلة المغربية والبلاص والقلل الملوثة
بالمياه الملاصقة لحيطان الزاوية من الداخل مع صغر حجم الزاوية وسد منافذها من ابواب
وشبابيك . واخذ الاهالي من تلك المياه بكثرة وبسبب ذلك تفيض المياه على ارض الزاوية

وحصر الصلاة لعدم وجود بلاعة ولا انخفاض ارضية الزاوية عن ارضية السبيل والبئر والجزء الذي فيه تلك المواعين المملوءة. فكل هذه اسباب تساعد على وجود رطوبة في الحيطان وارضية الزاوية — وهذا امر اثبتته احمد بك كمال الخبير الثالث في محاضر اعماله اذ قال ما نصه حرفياً "ودخلت امرأة لثماً قلة ثم دخل رجل تمضمض والقي المياه على ارضية الزاوية وان المياه فوق ارضية الزاوية وحصر الصلاة وموجود زلعة مغربية وبلاص وقلل مملوءة بالمياه مع سد منافذ الزاوية من شبايك وابواب". الا ان احمد بك كمال انكر البئر والسبيل وانخفاض ارضية الزاوية عن الشارع

وقرر محمد افندي فضلي واحمد بك عزي وخالفهما في ذلك احمد بك كمال ان المياه سببت رطوبة في ارضية الزاوية حالة كون احمد بك عزي اعترف ان ارضية الزاوية منخفضة عن الشارع بقدر ٣٠ سنتيمتراً وان ارضية الزاوية على مستوى ارضي الزراعية . ولم يصب حضرته في ذلك لان ارضية الزاوية منخفضة عن الشارع بقدر ٥٠ سنتيمتراً ومرتفعة عن ارضي الزراعية بقدر ٢٥ سنتيمتراً وهذا امر مثبت على الارض الى الآن — وهذا الانحطاط في ارضية الزاوية وسد منافذها وعمل بئر وسبيل ووضع مواعين الشرب واخذ الاهالي المياه من البئر كما سبق الذكر جرى بامر من المدعي قبل رفع هذه الدعوى بايام قليلة وهو ابتداء مناظرته على هذه الزاوية كما هو مثبت رسمياً . ومن العجب ان احمد بك عزي لم يعترف ان هذا الانحطاط يسبب رطوبة (على فرض ان الاشياء السابقة الذكر ليست موجودة داخل الزاوية) مع انه مقرر علمياً جيولوجياً ان الاراضي المنخفضة تسبب رطوبة خصوصاً مع وجود الرطوبة الناشئة من المياه الدائمة المتبخرة من البئر والسبيل ومواعين الشرب وغير ذلك والمحبوسة من سد المنافذ كما سبق الذكر وخصوصاً وجودنا على شاطئ النيل كما قرر احمد بك كمال من الحجة والرسم اللذين تحت يدي . وكان يجب على الخبراء الذين حكموا بطريقة غير علمية بوجود الرطوبة من مياه الزرع ان يصنعوا آلة اجرومتر (مقياس الرطوبة) ليحكموا بطريقة علمية أخرى وعند ذلك يتضح هل كانت الرطوبة من مياه الزرع

نعم اعترف بوجود رطوبة خفيفة في بعض محلات من الجزء العلوي للحيطان المجاورة للزرع والغير المجاورة والبعيدة مسافة ٢٥ م وهذا امر طبيعي ناشئ من فعل كيمائي بسبب ان مونة الحيطان قديمة ومركبة من طين وجير وقصرمل (كما اثبت ذلك احمد بك كمال وكما هو ثابت من الحجة والرسم) كما قدمنا وبعض احجارها طفلي لم ينضج نضجاً حقيقياً بواسطة الفعل الجيولوجي فتتكون هناك املاح بوتاسية معظمها ناشئ من القصرمل (لانه يجنوي على

كربونات البوتاسا) وهذه البوتاسا من خاصيتها الكيماوية امتصاص الرطوبة الطبيعية التي في الهواء الجوي وحبسها معها وعلاوة على ذلك انها تمتص الرطوبة الدائمة (المحبوسة بسبب سد المنافذ) المتصاعدة من البئر والسبيل ومواعين الشرب وخصوصاً اننا على شاطئ النيل كما سبق الشرح

فيظهر لكل شخص يجمل القوانين العلمية المشروحة آنفاً ان هذه علامات رطوبة ناشئة من مياه الزرع . ولكن العالم بقواعد علم الجولوجيا والكيمياء او الواقف على شيء منها يحكم ان الرطوبة السالفة الذكر يجب ان تكون في اسفل الحيطان وليس في اعلاها . وهذه الحالة تنطبق تمام الانطباق على السور الغربي لحديقة الدرمللي التي كانت فيها محكمة مصر الابتدائية الالهية فاذا فحصرنا هذا السور تجدون نصف طوله البحري بعيداً عن الزرع أكثر من ٢٥٠ ومرتفعاً عن ارض الزرع بمقدار ٧٥ . ونصف طوله القبلي بعيداً عن الزرع في بعض محلات أكثر من ١٢٠٠ وهذا النصف القبلي المذكور مبني بطريقة مصنوعة بمونة اسفلت عرضها ٢٢٥ و ٤٥٠ في بعض محلات . ومقرر علمياً هندسياً وكيماوياً ان مونة الاسفلت لا تمكث على الارض الا اذا وضع تحتها دكة من البناء سمكها لا يقل عن ٢٥ . ومونتها من تركيب المونة المائية او البياض القشرة المائي (الخافقي) — تجدون جميع حجارة السور الا النادر جداً (وهذا لا حكم له) قديمة طفلية ومونته قديمة مركبة من طين وجير وقصرمل وهو متأكلاً جداً وعليه علامات الرطوبة . وهذا التأكل والرطوبة على نسبة واحدة في جميع طوله وهذا دليل قاطع علمياً وعقلياً ان املاح البوتاسا هي السبب في هذا التلف ومياه الزرع المجاورة له برينة من هذا انظروا الى مسجد السلطان حسن المبني على صخر تجدوا بعض احجاره في الجدران وفي اعلى الحيطان وفي وسطها متأكلاً وعلامات الرطوبة ظاهرة عليها . انظروا الى قناطر مجرى المياه التي بناها السلطان صلاح الدين الايوبي الموجودة في فم الخليج بالقاهرة تجدوا معظم احجارها متأكلاً جداً وعلامات الرطوبة ظاهرة عليها وهذا بسبب مجاورة تلك القناطر للتلول المخنوية على كثير من السباخ المخنوي على ملح البارود وهو العنصر الاصلي للبوتاسا . انظروا الى القناطر الخيرية بل الى جميع قناطر الموازنة التي مضي عليها بعض من السنين تجدوا بعض احجارها متأكلاً وعلامات الرطوبة ظاهرة عليها . ولوقيل ان المياه اكتمت نقول اذا كانت تأكل الاحجار بدون استثناء . انظروا الى جدران المنازل الكبيرة التي على الشوارع وخصوصاً التي من داخل الحارات تجدوا تلك العلامات ظاهرة عليها وتزداد تلك الرطوبة في مدة الشتاء بسبب قرب مدار الكرة الارضية للشمس . وان كنتم يا حضرات المناظرين في

رب من ان البوتاسا ليس من خواصها امتصاص الرطوبة فراجعوا قانون الكيمياء او انظروا الى ملح الطعام الموضوع على موائدكم في مدة الشتاء تجذوه مبلولاً قليلاً ودقائقة متأسكة نوعاً وظاهر لي ان حضرات الخبراء الذين تعينوا في هذه القضية سبق لهم الحكم فيما يماثل ذلك وكان حكمهم على غير قاعدة علمية كما حكموا في هذه . ولجلل ارباب القضايا بعلم الهندسة وبعض العلوم الاخرى ما امكنهم الطعن لينوروا المحكمة فصار من المقرر عندهم انه ما دامت الرطوبة موجودة على حيطان قريبة من ارض مزارع واجارها متأكدة تكون تلك الرطوبة والتأكل من مياه الزرع بدون بحث علمي والحقيقة ان تلك الرطوبة ناشئة من املاح البوتاسا . فالحمد لله على حصول هذه القضية لعلمها تكون السبب في تنوير الخبراء الذين يجهلون القوانين الطبيعية السالفة الذكر

الكلام على هل المياه او رطوبتها تسير سيراً افقياً مسافة ٤٠٠ في عرض الجسر التراب الفاصل بين الزرع والخافقي الذي انكره محمد افندي فضلي واحمد بك عزي وقرره احمد بك كمال قرر الخبراء الثلاثة انه يلزم ابعاد الزرع عن الخافقي بقدر ١٠٠ الى ٢٠٠ ولم يبين احد منهم الطريقة العلمية الهيدروستاتيكية (علم قوي المياه) ولا الطريقة العقلية التي اوجبت هذه المسافة مع ان الثابت في قواعد هذا العلم ان المسافة يلزم ان تكون ١٥٠ على الاكثر لان المياه ورطوبتها التي نحن بصدها لا تسير سيراً افقياً في عرض الجسر المذكور المتروك في ارضي بين الزرع والخافقي الا سبعة سنتمترات كما اثبت ذلك امام المحكمة بواسطة ارنيك من زجاج كبير صنعتها لهذا الغرض ملأته بالتراب الجلف الهاش صورت فيه هيئة المحل الواقع النزاع فيه ووضعت فيه طبقة مياه سمكها اربعة سنتمترات ثم شرحت عليه الطريقة العلمية الهيدروستاتيكية وأيدت ذلك . ومن كان يجهل ذلك فعليه بمراجعة هذا القانون البسيط وهو في مبادئ علم الهيدروستاتيك او ان يحضر ليشرفني في منزلي بمصر القديمة لأطلعه على ذلك وأطلعه على الاورنيك المذكور ليرى التجربة بنفسه

وقبل التكلم في الموضوع يلزم اولاً معرفة كمية المياه اللازمة لري النبات المنزرع في الغيط المتنازع فيه فاقول

من المقرر في علم النبات وعند عموم المزارعين البسطاء ان المياه التي تلزم لري النبات مثل المنزرع في الغيط المتنازع فيه كالفلج والخبازي والسبانخ والجرجير والبقدونس وما شاكل ذلك هي طبقة من المياه لا يزيد سمكها على سنتي واحد او اثنين على الاكثر كل خمسة ايام مدة الصيف الحار جداً او ثمانية ايام في الصيف المعتدل وكل ٢٥ الى ٣٠ يوماً في الشتاء

القار او ٢٠ الى ٢٥ يوماً في الشتاء المعتدل حتى بذلك تشترب المياه في الارض في مدة ١٠ دقائق الى ١٥ دقيقة وفي خلال الخمسة الايام او الثانية تمنص خلايا النبات جزءا وحرارة الشمس والهواء الجوي المطلق جزءا والارض جزءا وتبتدى في الارض بعد ذلك في الجفاف الكلي حتى تمضي الخمسة الايام المذكورة وتصبح الارض والزرع ظمآنين كأن الماء لم يروها بحيث اذا لم يسرع في ري الارض يموت النبات . وهذا برهان قاطع علمياً وعقلياً ان الارض خالية من شيء يقال له 'رطوبة' والا لكانت تغذي شعيرات النبات الدقيقة جداً وتحفظها من الموت

والسبب العلمي في موت النبات هو ان حرارة الشمس تجفف (تمص) دائماً كل شيء مائي او رطب اعني انها تجفف الرطوبة الموجودة في الارض وفي آن واحد تتحول علي شعيرات النبات وثقاتله فتقوى عليه لان رطوبة الارض التي كانت تغذي جفت . ثم تمص الجهاز المائي الكيماوي الحيوي فيه وتميته بواسطة الطريقة المصطلح عليها علمياً في علم النبات Capillary Section اي الامتصاص الشعري او امتصاص الاوعية الشعرية . وهذا اثبات قوي علمي آخر وعقلي ان الارض خالية من الرطوبة والا لكانت تغذي شعيرات النبات الدقيقة وتحفظه من الموت . وقد نشر في جريدة المقطم الغراء عدد ٣٩٢٥ بتاريخ ٢٥ نوفمبر سنة ٩٠٠ صحيفة ٢ عامود ٦ تقرير نظارة الاشغال الرسمي المؤيد لكلامي في هذا الموضوع ابي بخصوص كمية المياه اللازمة لري النبات

واذا زادت طبقة المياه عن ستمتيرين يتلف الزرع والسبب العلمي هو ان كثرة المياه تمدد الياف النبات وتضعف الجهاز المائي الكيماوي الحيوي فيه فيبتدى في الاصفرار حتى يموت وهذا مثل الانسان اذا شرب الماء بكثرة تمدد الامعاء وتضعف فيقل غذاؤه ويبتدى في الاصفرار ويعقبه الموت . والحاصل ان المياه اللازمة للري هي طبقة ممكها ستمتيران على الاكثر

وحيث ان قانون الامتصاص في علم الهيدروستاتيك يقرر ان طبقة المياه التي ممكها ستمتير واحد تشترب وينعدم تأثير رطوبتها تدريجياً في طبقة من الارض الهشة والجافة والغير مزروعة التي عمقها ثلاثة ونصف في نصف دقيقة . بمعنى ان رطوبتها لا تؤثر فيما بعد في هذا العمق (بشرط ان يجف محلها قبل ورودها ثانياً مثل ما هو حاصل في ري الزراعة) ومن اراد فليشرف منزلي ليطلع على ذلك في الارنيك الزجاج السالف الذكر وحيث ان الارض المتنازع فيها ليست من الاراضي الهشة اي انها مندمجة بسبب امتداد

شعيرات النبات في مساهمها فضروري استغراق مدة تزيد عن نصف دقيقة لتتشرب هذه الطبقة التي في اثنائها تكون معرضة للتبخر في الهواء الجوي وحرارة الشمس
وحيث ان الارض المتنازع فيها منزوعة نباتاً فضروري ان شعيراته تمتص جزءاً من هذه الطبقة فوق ما يتبخر منها كما قدمنا . يكون من البديهي ان تأثير الرطوبة الرأسي السابق الذكر
يعدم في طبقة من الارض سمكها اقل من ثلاثة سنتيمترات ونصف بكثير

وحيث ان سير الرطوبة الرأسي اكثر من سيرها الافقي بسبب الضغط الرأسي (لوجود مياه
الري محصورة داخل بتون ارض الزراعة) فيقتضي قانون القوى الاستاتيكية (علم توازن
القوى) وجذب الارض المركزي الطبيعي يكون الضغط رأسياً ويكون سير الرطوبة الافقي
بكل تحقيق اقل من ثلاثة سنتيمترات ونصف باكثر من الكثير . ولكن اذا سلطنا المستحيل وقلنا
ان الارض المتنازع فيها من الاراضي الهشة والجافة والخالية من النبات وغير معرضة للهواء
الجوي المطلق ولا لحرارة الشمس وان سير الرطوبة الرأسي والافقي متساويان فتكون النتيجة
بكل تحقيق ان رطوبة المياه التي نحن بصدها لا تسير سيراً افقياً في عرض الجسر الفاصل
المتروك في ارضي بين الزرع والخافقي الا سبعة سنتيمتراً فقط

وحيث ان عرض الجسر المتروك المذكور ٤٠ سنتيمتراً كما قرر ذلك احمد بك كمال
الخبير الثالث في تقريره وكما هو مثبت في اوراق القضية من قبل تعيين الخبراء ولم يزل على
حالته الآن . فتكون الرطوبة اذاً بعيدة عن المحيطان او الخافقي بمراحل

واذا قيل ان المياه مستعملة بكثرة عمداً فالجواب ان الزرع القريب من الخافقي هو كالزرع
الموجود في جميع انحاء الغيط المتنازع فيه وهو على قارة الشارع العمومي والسور واطىء بارتفاع
٩٠٠ . وكل شخص طويل القامة ينظر ذلك

أمثلة واقعية مطبقة على الشرح العلمي الهيدروستاتيكي لا فتاع حضرات المناظرين
الكرام (اولاً) ترون حضراتكم ان عرض جسر سكة حديد الوجه القبلي من ابتداء الجيزة
لغاية اصوان لا يزيد على ثمانية امتار توجد مياه الفيضان مدة ثلاثة شهور على جانبيه
وبعدئذ مدة شهرين في بعض محلات لوجود خنادق (الجنبات) بعمق من ٤ امتار الى ٦
وفي بعض الاماكن تكون المياه موجودة على الدوام كترعة الابرهيمة وتتلطم الامواج على
جانبيها . بمعنى ان لكل جهة من المياه ٤,٠٠ امتار من عرض هذا الجسر . فاذا كانت رطوبة
طبقة مياه سمكها سنتيمتران لتتشرب في الارض في مدة من ١٠ الى ١٥ دقيقة وتمكث ٥ ايام
حتى تجف الارض مكانها في مدة الصيف الشديد تسير سيراً شديداً افقياً مسافة ٤٠ .

سنتي وتكلف الخافقي ثم تمر من حائطه الذي عرضه ١٠٠ و تسير بعد ذلك مسافة ٨ امتار وتسبب رطوبة في ارضية الزاوية فمن باب اولى كان يلزم ان تلك المياه الجسيمة والمستديمة تؤثر في جسر السكة الحديد وتلاشي في زمن اقرب من لمح البصر

(ثانياً) ترون حضراتكم ان جسر نهر النيل اقرت نظارة الاشغال رسمياً بان يكون عرضه من ٤ الى ٦ امتار ولولا سير الجمال المحملة وثقلها للمرور واسباب اخرى لما عمل عرضه اكثر من ٤ امتار. هذا الجسر يجس مياه الفيضان العالية مدة ثلاثة شهور بسرعتها السريعة وكيتمها الكبيرة وامواجها الشديدة. فاذا كانت الرطوبة تسير سيراً اقيقاً كما يتوهم الخبراء تلاشي هذا الجسر الدائم في زمن اقرب من لمح البصر وفضلاً عن ذلك ان منسوب سطح المياه اعلى من منسوب سطح الاراضي الزراعية بمقدار ثلاثة امتار واربعة امتار في بعض الاماكن حتى اننا نشاهد مياه النشع فوق الاراضي الزراعية وملاصقة لميل الجسر من الجهة الاخرى بمعنى ان الجسر حابس تلك المياه وتحمل ضغطها الشديد

(ثالثاً) ترون حضراتكم سدود الاتربة التي تعمل في وسط البحور لحبس طبقة مياه ارتفاعها من ٤ امتار الى ٦ مدة ٧ اشهر لبناء قناطر موازنة مثل القناطر الخيرية والقناطر التي على انمام الترع الآخذة من البحور مباشرة — عرض تلك السدود لا يزيد على ٤ امتار الى ستة. فلو كانت الرطوبة تسير سيراً اقيقاً كما يتوهم الخبراء المذكورون آنفاً لما عمل عرض تلك السدود اقل من ١٠٠٠ متر وهذا امر يستحيل عمله

(رابعاً) ترون حضراتكم بتون ارض المزارع عرضها لا يزيد على ٢٠٠ سنتي متخصرة في وسط مياه الري يخصص المياه ١٠٠ سنتي من عرضها. فاذا كانت الرطوبة تسير سيراً اقيقاً كما يتوهم الخبراء ما تمكن المزارعون من السير على تلك البتون الصغيرة وقت ري الارض ولا بعد ريمها. واذا تأملنا قليلاً نجد ان ذلك منة من الله حيث لم يجعل سير المياه ولا رطوبتها في الاتجاه الافقي كما ظن الخبراء والآن لتلف جزء كبير من المحصول — وامثلة تلك السدود كثيرة لا تحصى وجميعها مطبقة على القانون العلمي الذي شرحته — وانا بصفتي مهندس من الذين عوّلت الحكومة على اعمالهم في اشغال موازنة مياه البحور على القناطر الخيرية مدة سنوات مذ كانت تلك القناطر تنادي كل انسان وتشتكي له اوجاعها كانت تلك السدود تعمل على حساب القانون العلمي الذي اوضحته^(١) — ولو كان احد الخبراء الذين تعينوا في هذه

(١) فلو حصل مني اقل هفوة لتحملت نظارة المااية خسارة ملايين من المجهنات عت سنوات حتى اضلع

القضية اشتغل بمياه الجور ولو قليلاً من الزمن لا لزمتها الضرورة لدرس قواعد فن الهيدروستاتيك وكان يعلم شيئاً من قواعد سير المياه ورطوبتها في التربة وما يترب عليها . ولو كان احدهم درس قواعد علم النبات البسيطة لعلم كمية المياه اللازمة وكان يراجع قانون الامتصاص في علم الهيدروستاتيك وبعدئذ يعلم ان لا المياه ولا رطوبتها تصل الى الخافقي . فمعدرة مني لحضراتهم واكبر دليل لا ينقض علي ما افترره من القواعد لثبوت ما وصحنه بكافة الطرق العلمية هو ان الجسر الفاصل المتروك في ارضي بين الزرع والخافقي هو تراب جاف ليس فيه بلل ولا شيء يشتم منه رائحة البلل سوى الخمسة سنتمترات الأول من جهة الزرع كما يشاهده كل انسان وقت الري وتجف عند ما تجف الارض والزرع . وكذلك جدران الحيطان المجاورة للزرع أمتن من جدران الحيطان الغير المجاورة والبعيدة عنه بمسافة ٢٥ سم على امتداد الحائط الجري المتنازع فيه . فلو كانت المياه او الرطوبة اثرت على الخافقي واتلفته ثم مرت من حيطان عرضها متر وسببت رطوبة في ارضية الزاوية فن باب اولى ان الجسر الفاصل بين الزرع والخافقي السابق الذكر يصير لزجاً (رهريط) او فيه بلل او شيء يشتم منه رائحة البلل او توجد فيه على الاقل بعض شعيرات النبات المنزرع الملاصق له تماماً . وهذه نقطة مهمة جداً استلفت اليها انظار حضرات العلماء المناظرين الذين يريدون الحصول على الجائزة . هذه الشروط الموجودة في الجسر لا شك انها تؤيد الشروحات العلمية التي شرحتها ان لا المياه ولا رطوبتها التي نحن بصددھا يمكن وصولھا الى الخافقي المتنازع فيه . ومن اراد تحقيق ذلك فليشرف ليرى الجسر بعينه

وهذه القضية تنطبق تماماً على الزرع الموجود بين غرَف المحكمة الابتدائية الاهلية مذ كانت في سراي الدرامالي . تجدون حضراتكم الزرع بعيداً عن حيطانها بمقدار ٦٠ سم سني وجدرانها مبيضة بيباض يسمى علمياً " بيباض القشرة الجوي " atmospheric plaster واسمه عند العامة " البيباض بالخير والرمل " . وتركيب هذا البيباض هندسياً هو جير ورمل وماء بمقادير معينة . ومقرر علمياً وكيمياً وعملياً ان اقل كمية من المياه او الرطوبة تؤثر في هذا البيباض وتحلله وتذوبه كما يحلل الماء ملح الطعام وتذوبه . فهذا البيباض تجدونه لغاية اليوم في حالة جيدة حاله كونه قديم الوجود وتركيبه الهندسي ليس على ما يرام . وهذا دليل قاطع علمياً وعملياً ان لا المياه ولا رطوبتها واصلة لهذا البيباض حاله ان جميع البيباض الموجود على السور الغربي لحديقة السراي الذي سبق الكلام عليه قد تلف بالكلية مع بعده عن ارض المزارع

او اذا دامت تلك المياه مدة شهور متوالية بدون انقطاع كما هو الحاصل على طول السكة الحديدي المذكورة من ابتداء الجيزة لغاية اصوان ؟ — هذه نقطة مهمة نثبت لحضراتكم القانون العلمي الهيدروستاتيكي الذي شرحته سابقاً وقلت ان سدود الاتربة التي تعمل في وسط البحور وغيرها مطبقة عليه

واختم هذه الرسالة بالمدالة العلمية الآتية الشاملة قاعدتين علميتين هيدروستاتيكية ونباتية لاثبت عدم وصول المياه والرطوبة الى الخافقي المتنازع فيه فاقول

اذا سلمنا المستحيل وجارينا الخبراء السالفي الذكر على افكارهم وقلنا ان مياه الزرع او رطوبتها سارت سيراً افقياً في الجسر التراب الذي عرضه ٤٠٠ متر ستمتد الفاصل بين الزرع والخافقي السابق الذكر ووصلت للخافقي واتلفتته — ثم مرّت من محيطه التي عرضها ١٠٠ متر ووصلت الى ارضية الزاوية وسببت رطوبة — فهذا معناه علمياً هيدروستاتيكياً ونباتياً وعقلياً وعند المزارعين الجهلاء ان الارض متشعبة (ممزوجة) بمياه كثيرة لا تنقطع ولا تجف ابداً — وهذا ما ينفيه قانون علم النبات لانه يقرر استحالة نمو شعيرات النبات الدقيقة او جذور الاشجار الكبيرة — لان ذلك يمدد اليافة ويضعف الجهاز المائي الكيماوي الحيوي ويميته كما قدمنا — واذا فرضنا هذا المستحيل وقلنا ان كثرة المياه لا تمت شعيرات النبات الدقيقة ولا جذور الاشجار الكبيرة واننا اذا حفرنا في عرض الجسر الفاصل المذكور بعمق كبير ووجدنا شعيرات النبات والجذور مارة منه وملاصقة للخافقي فلا يمكن انها (الشعيرات والجذور) توصل المياه اليه ولا الى تراب هذا الجسر . بل هي تمص المياه والرطوبة منهما علاوة على المزاحمة الواصلة من مياه الري . ودليلي على ذلك هو انه لو كانت شعيرات النبات الدقيقة "وجذور الاشجار" الكبيرة توصل المياه الى المباني او الى الاراضي المارة فيها لهدمت مباني العالم اجمع لان جذور شجر البنج والسنتط والحميز والنخل والتوت والبلوط والاسس والمنجو وغير ذلك تمتد في الارض احياناً لغاية خمسة وستين متراً واحياناً تمتد افقياً لغاية ١٠٠ متر (راجع قانون علم النبات في هذا الموضوع) وحينئذ يجب على الحكومات ان لا تزرع الاشجار في الطرق او الجناين المجاورة للسكن بمسافة ١٠٠ متر

وبناء عليه

التمس العلم من حضرات العلماء المناظرين ان يردوا علينا في المقتطف اذا وجدوا مناظرتي موافقة للعلم والتجارب كما ان لهم الحق بمطالبي بالجائزة اذا ثبت بعد المناظرة ان لهم الحق بها . وربما يفكر البعض ان اعلان الجائزة المدرج في الجرائد وفيه جملة (من يقنعني بالطريقة

العلمية) معناها اتي لا اقتنع ابداً حاشا بل قصدت بها ان ما دام المناظرون يناظرونني بالعلم المدون في الكتب العلمية المتداولة بين العلماء وبمقارنتها بالتجارب توجد حقيقة فلا بد انها تقنعني. واذا اصررت بعدئذ على عدم الاعتراف بالحقيقة فهناك لجان مهندسين وعلماء النبات عدول يحكمون رغماً عن انفي وهذا حجة عليّ بذلك
خورشيد وهي

باب الزراعة

السماد الكيماوي والقطن

اهم مسألة نظر فيها ارباب الزراعة في الشهر الماضي مسألة تسميد القطن بالسماد الكيماوي والتجارب التي جرّبها المستر فودن سكرتير الجمعية الزراعية وغيره من ارباب الزراعة فانه ان كان السماد الكيماوي يفيد القطن فيجود نوعه ويكثر محصوله حتى تكون الزيادة في ثمن قطن الفدان الواحد أكثر من ثمن السماد الذي يسمد به ونفقات التسميد ولم تنتج منه نتائج مضرّة للاطيان وجب ان يقبل الجميع على استعماله. وهاك شرح التجارب التي جرّبها المستر فودن ملخصاً مما كتبه في مجلة الجمعية الزراعية الخديوية. وقد جرّب هذه التجارب في اطيان للجمعية الزراعية بناحية ميت الدية وفي اطيان أخرى في الجيزة وقال ان الاطيان التي حصلت فيها التجارب تختلف كثيراً فالاطيان التي في ميت الدية ضعيفة طفالية ومنخفضة واما اطيان الجيزة ففوق الوسط في خصبها وهي عالية وترابها قليل التماسك. ثم وصف فائدة السماد للارض وافتقار القطن المصري الى السباخ الكيماوي لان السباخ الكفري لا يفيد كلة الفائدة المطلوبة والكيان التي سباخها جيد قليلة جداً. والسباخ البلدي مفيد لكنه قليل جداً لقلة المواشي ولان الدوائر الكبيرة تستعمل مواشي الفلاحين لحث اطيانها فلا تنفع بكل زبلها وهي لوربت المواشي لزراعتها لاستفادت من زبلها واستطاعت ان تحسن نتائجها ايضاً. ولذلك تبقى الحاجة ماسة الى سباخ كيماوي يفيد المزروعات فائدة خاصة. اما خصب الاطيان العمومي فيجب ان يبقى الاعتماد فيه على السباخ البلدي والبودرت اي السباخ المحفّف المستخرج من الكنف ونحو ذلك من المواد البرازية. واذا اقتصرنا على تسميد الارض بالسباخ البلدي سنة بعد اخرى اجتمع فيها مقدار كبير من الغذاء لكنه لا يكون كلة في حالة صالحة للتغذية

المزروعات لانه لا يقبل كله الذوبان في الماء واما السباخ الكيماوي فيذوب في الماء سريعاً
فنجده المزروعات في المقدار القليل منه غذاء كما تجده في المقدار الكبير من غيره . خذ مثلاً
لذلك المواد التي تحتاج اليها اطيان القطر المصري اكثر مما تحتاج الى غيرها وهي النيتروجين
والحامض الفسفوريك فان القنطار من نترات الصودا او كبريتات الامونيا فيه من النيتروجين
مقدار ما في ٦٥ او ٧٠ قنطاراً من السباخ البلدي . والقنطار من الفسفات الاعلى (الذي
فيه ١٦ الى ١٨ في المئة من الحامض الفسفوريك القابل الذوبان) فيه من الحامض الفسفوريك
مقدار ما في ٦٥ الى ٧٠ قنطاراً من السباخ البلدي . ففي المقدار القليل من هاتين المادتين
غذاءً للمزروعات من نوع النيتروجين والحامض الفسفوريك قدر ما في المقدار الكبير جداً من
السباخ البلدي . وزد علي ذلك ان هذا الغذاء فيهما سهل الذوبان قريب التناول وهو وليس
كذلك في السباخ البلدي

لكن السماد الكيماوي لا يكفي وحده بل لا بد من استعمال السباخ البلدي ايضاً لحفظ
خصب الارض بنوع عام ويجب ان تسمد به الارض مرة كل سنتين او ثلاث تسميداً كافياً
ثم تسمد في السنين الاخرى بالسماد الكيماوي اللازم بنوع خاص لما يزرع فيها . ولا سيما اذا
كانت الاطيان بعيدة عن العزب يصعب نقل السباخ البلدي اليها
ثم قال ان التجارب السابقة دلت على ان السماد الكيماوي مفيد مالياً اي ان فائدته
للزراعة تزيد على ثمنه ونفقات استعماله . وجاءت التجارب الحديثة في الجيزة وميت الدية
مؤيدة لذلك فاولاً ثبت منها ان القطن الذي يسمد بالسماد المناسب ينضج ويفتح لوزة قبل غيره
وهذا يفيد من وجهين الاول ان الجنية الاولى يكون قطنها اجود من الجنيتين الاخيرتين
والثاني ان الزارع يجمع الجانب الاكبر من قطنه قبلما يتقلب الهواء ويبرد ويكثر الضباب
وتقع الامطار

ثم ان استعمال السماد لا يغني عن جودة الحرث بل لا بد من ان تحرث الارض حرثاً
عميقاً جيداً لانه كلما عمق الحرث كثر الغذاء الذي يسهل على النبات تناوله . وفي القطن
جذر متوسط يغور في الارض الى عمق عميق فاذا كان الحرث سطحياً حتى امتنع غور هذا
الجذر في الارض قللتنا المساحة التي يغتذي النبات منها فلا يجود كثيراً ولا ينتج كل ما يمكن
ان ينتجه من القطن ولذلك يجب ان يستوفي الزرع حقه من الحرث والتسميد ولا ينتظر ان
يعوض الانسان بالسماد عن الحرث الجيد

ولما اتم هذا الكلام العمومي انتقل الى وصف التجارب التي اجراها في ميت الدية فقال

ان الارض هناك قليلة الخصب ثقيلة اي متماسكة الدقائق زرع منها خمسين فداناً من الميت
عفيف وعشرين فداناً من العباسي ومحصول الفدان هناك عادة نحو ثلاثة قناطير لكن انقطع الماء
عنها هذه المرة ٤٥ يوماً في اشد ايام الحر وهذا اثر في المحصول كثيراً ولم يتمكن من احياء
القطن الا بالعزق السطحي المتوالي الذي يمنع التبخر بسده الشقوق الكبيرة التي في الارض.
هذا ما قاله المستر فودن ونظن ان تلغزق السطحي فائدة اخرى وهي ان التراب الناعم يملأ
الرطوبة من الهواء ولا سيما في ساعات الليل ويزيد الفعل الكيماوي المغذي بتسهيل مرور
الهواء في التراب

وقسم ٣٠ فداناً من الارض الى خمسة عشر قسمًا متساوية وزرعها من القطن ميت عفيف
وابقى بعضها بغير سماد وسمد بعضها بالسباخ البلدي او الصودا وحدها او الصودا والحامض
الفسفوريك الخ كما ترى في هذا الجدول

الفصفت الاعلى وكبريتات البوتاسا	الفصفت الاعلى وكبريتات البوتاسا	سباخ بلدي	نيترات الصودا	بغير سماد
الفصفت الاعلى وكبريتات البوتاسا	الفصفت الاعلى وكبريتات البوتاسا	الفصفت الاعلى وكبريتات البوتاسا	البودرت	الفصفت الاعلى وكبريتات البوتاسا
نيترات الصودا	نيترات الصودا	نيترات الصودا	نيترات الصودا	نيترات الصودا
سماد خاص للاراضي الطفالية	سماد خاص للمستعمرات	الفصفت المرسب	بغير سماد	كبريتات البوتاسا ونيترات الصودا

فاختلف محصول الفدان من القطن بحسب اختلاف هذه الاسمدة كما ترى في هذا الجدول
متوسط محصول الفدان بغير سماد

٦٢٥	رطلاً			
٩٧٤	"	المسمد بالسباخ البلدي	"	"
٦٣٣	"	بالبوتاسا وحدها	"	"
٨٩٥	"	والفصفت الاعلى	"	"
١٠٨٤	"	بالفصفت الاعلى وحده	"	"
١٤٨٤	"	ونيترات الصودا	"	"
١١٥٦	"	بنيترات الصودا وحده	"	"
٩٦٣	"	بكبريتات البوتاسا ونيترات الصودا	"	"

١٢٣٠ رطلاً

متوسط محصول الفدان المسمد بالبوردت

" ٨٧٨

" " " " بسماد المستعمرات

" ١١٨٣

" " " " بسماد الاراضي الطفالية

ثم قال ويظهر من ذلك ان السماد فعل بالارض حالاً ولا يستثنى من ذلك الا البوتاسا المستعملة وحدها . وظهرت الفائدة الكبرى من الفصقات الاعلى ونيترات الصودا ومن نيترات الصودا وحده ومن البوردت وسماد الاراضي الطفالية

والسماد اللازم للفدان من الفصقات الاعلى اربعة قناطر يبلغ ثمنها نحو ٧٠ غرشاً اذا كان ثمن الطن واصلًا الى الاطيان ٣٨٠ غرشاً . فسماد بسبعين غرشاً زاد المحصول قنطاراً وثلاث قنطار من القطن

اما السباخ البلدي فاستعمل منه ٣٠ حملاً للفدان فزاد به محصول الفدان اكثر من قنطار . اما الارض التي سمدت بالنيترات والفصقات الاعلى فقد سمدت بنحو ثلاثة قناطر الى اربعة من الفصقات الاعلى وبنحو قنطار وربع الى قنطار ونصف من النيترات وبلغ محصول الفدان منها ١٤٨٤ رطلاً اي زاد ٨٥٩ رطلاً عن محصول الفدان الذي لم يسمد و ٥١٠ ارطال عن محصول الفدان الذي سمد بالسباخ البلدي و ٤٠٠ رطل عن محصول الفدان الذي سمد بالفصقات الاعلى وحده

ثم ان نيترات الصودا وحده زاد المحصول في الميت عفيف من ٦٢٥ رطلاً الى ١١٥٦ رطلاً لكنه اخر النضج وقل جودة القطن واما الفصقات الاعلى الممزوج بنيترات الصودا فزاد المحصول حتى بلغ ٤٨٤ رطلاً وجعل القطن ينضج باكراً وحسن نوعه ولو كان الطين اجود لكان فعل نيترات الصودا فيه مضرًا على الراجح لانه يجعل شعر قطنه غليظاً . وكذلك لو كان اقل جودة مما هو في ميت الدببة لكانت النتيجة ارباً لقلّة الفسفور والبوتاسا فيه . ولذلك لا نشير باستعمال السماد النيتروجيني وحده بل ممزوجاً بالسماد الفسفوري

وكانت النتيجة من استعمال البوردت حسنة جداً فبلغ محصول الفدان ١٢٣٠ رطلاً وهو بفضل على الاسمدة الكيماوية في انه يصلح التربة اي انه يبقى فيها بعد زراعة القطن شيء من الغذاء مختلفاً من البوردت لكن نقل البوردت اعلى من نقل الاسمدة الكيماوية . ولو وجد البوردت بمقادير كافية في القطر المصري واضيف اليه شيء من السماد الكيماوي لوفى بالحاجة تماماً . والمقدار الذي استعمل من البوردت في هذه التجربة هو طنان للفدان ولم تدفع الجمعية ثمنه لان شركة نقل البراز قدّمته اليها بغير ثمن

واختار ٢٤ فداناً زرعها بالقطن العباسي وارضها ادنى من التي زرعها بالميت عفيف وقسمها هكذا

بالبودرت	باعلى فصقات البوتاسا	بغير سماد	بغير سماد
بكبريتات البوتاسا ونيترات الصودا	بنيترات الصودا	بالفصقات الاعلى	بالفصقات الاعلى ونيترات الصودا
بغير سماد		بكبريتات البوتاسا	

فكان متوسط محصول الفدان الذي بغير سماد	٥٢٦	رطلاً
" " " "	٨١١	"
" " " "	٧٠٦	" والبوتاسا
" " " "	٨٤٤	" بنيترات الصودا
" " " "	١١٧٥	" والفصقات الاعلى
" " " "	٠٧٧٧	" بكبريتات البوتاسا
" " " "	٨٧٨	" بالبودرت

وهذه النتائج توافق النتائج التي حصلت من القطن الميت عفيف فالارض التي لم تسمد بلغ متوسط محصول الفدان منها ٥٢٦ رطلاً والارض التي سمدت بكبريتات البوتاسا زاد محصولها ٦٥ رطلاً فقط وهذه الزيادة لا تفي بثمن السماد . وسماد الفصقات الاعلى زاد محصول الفدان ٢٩٥ رطلاً . واما السماد الممزوج من الفصقات الاعلى والبوتاسا فلم تكن فائدته كبيرة . وكانت النتيجة من استعمال نيترات الصودا حسنة من حيث كثرة المحصول ولكن قطنه لم يكن جيداً . واحسن النتائج كانت من استعمال الفصقات الاعلى ونيترات الصودا فزاد المحصول ٣٦٤ رطلاً عما كان باستعمال الفصقات الاعلى وحده . ويتلو ذلك البودرت وقد استعمل منه طنان للفدان

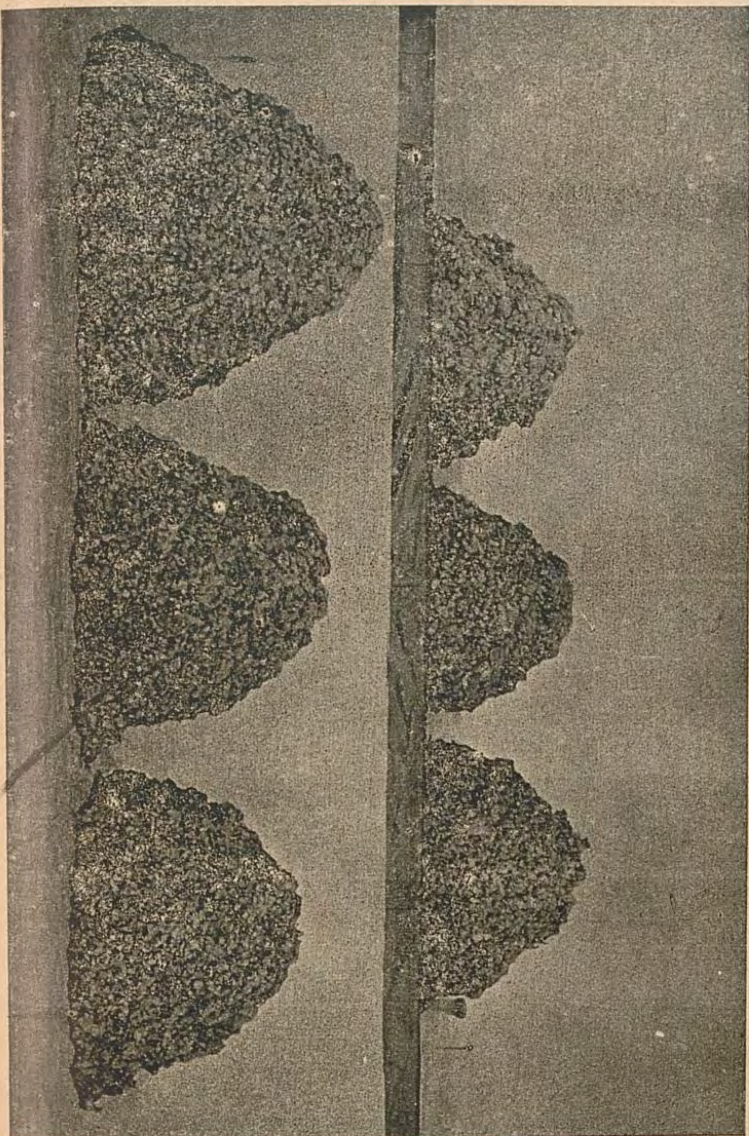
ويظهر لنا انه يُعترض على ما تقدّم أولاً ان اطيان ميت الديبة يبعد ان تكون من درجة واحدة في الخصب لانها مثل كل الاطيان الضعيفة التي تفتاوت درجة الخصب فيها . وعندنا اطيان تشبها على مقربة منها ولا نأمل انها تصير كلها من درجة واحدة الا بعد ان تصلح وتمضي عليها بضع سنوات . ومعلوم ان المقابلة او الموازنة لا تصح الا اذا كانت الاطيان كلها في درجة واحدة من الخصب

فوتوغراف حاصل القطن الميت عفيف من ميت الذببة

بغير سجاد

مسجد بالبرنسا فقط

بالسباح الذي

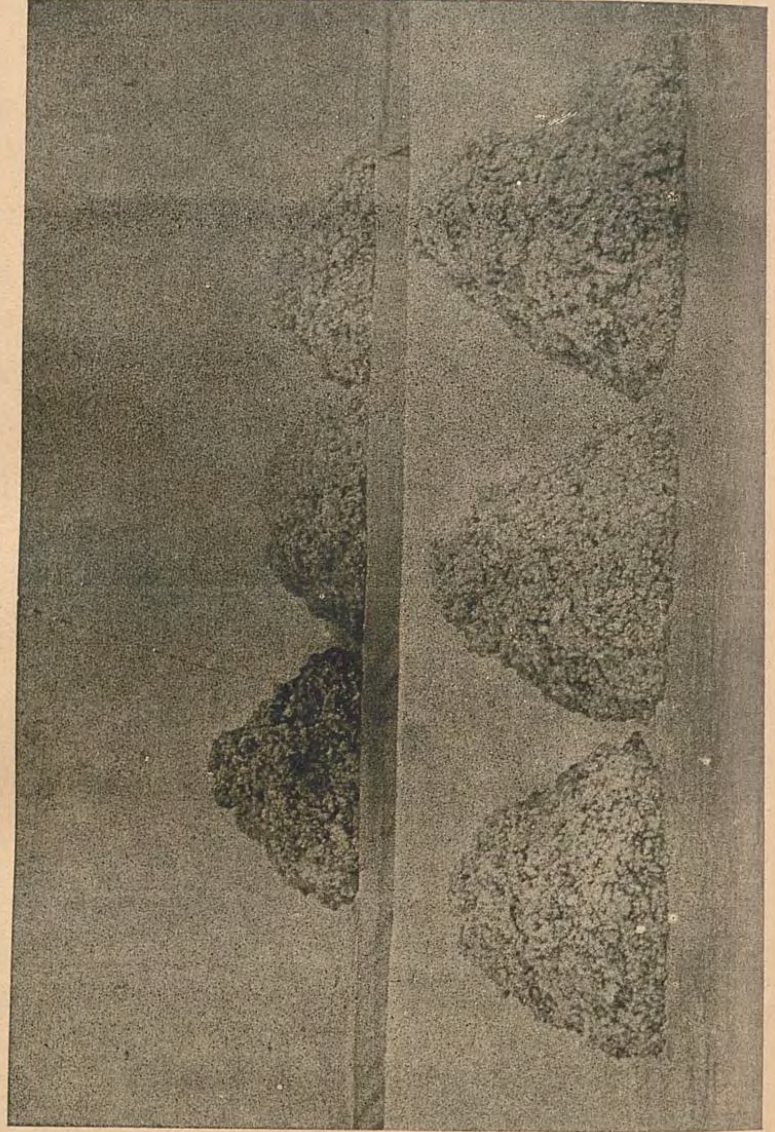


بالصفقات الاعلى وتيترات الصودا

بالوردت

بالصفقات الاعلى

فوتوغراف حاصل القطن العباسي من ميت الدبية



بغداد

مسجد بالبوتاسا

بالسباخ البلدي

بالصفقات الاعلى ونيترات الصودا

بنيترات الصودا

بالصفقات الاعلى

وثانياً انه ذكر اولاً ان الاطيان التي اجري التجارب فيها زرع خمسين فداناً منها من القطن الميت عفيف وعشرين من القطن العباسي وعند التفصيل قال انه اجري التجارب في ٣٠ فداناً مزروعة بالقطن الميت عفيف وفي ٢٤ فداناً من القطن العباسي ولعله وقع خطأ في الارقام الاولى

وثالثاً انه ذكر استعمال البوتاسا وحدها بين الاسمدة الكيماوية حينما ذكر ابطال المحصول ولم يذكرها في الجدول السابق فلعل نيترات الصودا في قطعة منها هو نيترات البوتاسا. والعبرة ليست في الامر الثاني والثالث بل في الامر الاول اي في درجة اطيان ميت الدببة فان كانت من درجة واحدة في الخصب فالنتائج صحيحة تستحق ان يعول عليها والا فلا. لكن اذا صح هذا الاعتراض على اراضي ميت الدببة لا يصح على اراضي الجيزة لان هذه من درجة واحدة تقريباً وتمتاز على تلك ايضا في انه جرب زرع القطن فيها بعد انواع مختلفة من الزراعة. والتجربة الاولى في ستة افدنة اثنان منها كانا مزروعين قطناً واثنان ذرة واثنان برسيماً وقد قسمت هذه الارض هكذا

بعد البرسيم	بعد الذرة	بعد القطن
بلا سماد	بلا سماد	بلا سماد
الفصقات الاعلى والنيتروجين	الفصقات الاعلى	الفصقات الاعلى والنيتروجين
الفصقات الاعلى والبوتاسا	البودرت	الفصقات الاعلى والبوتاسا

فكانت النتيجة هكذا

المحصول بعد البرسيم من غير سماد	٢٦٦٢ رطلاً
" " " " الذرة " "	٢٢٢٦ "
" " " " القطن " "	١٤٠٢ "

ونفخ من ذلك ان محصول القطن بعد البرسيم اكثر كثيراً من محصوله بعد الذرة والفرق بينهما ٤١٦ رطلاً او قنطار وثلاث وكانت الذرة مشبعة بالسباخ الكفري. اما الارض التي كانت مزروعة قطناً فكان محصولها قليلاً جداً وذلك دليل اما على ان القطن

بأخذ من الارض بعض المواد اللازمة فيفقرها حتي لا تسترد قوتها الا بعد حين او على انه يترك فيها مواد تنضج به اذا زرع فيها قبلما تزول منها

وكان محصول الارض التي كانت مزروعة برسيم قبل القطن اكثر من محصول الارض التي كانت مزروعة قنطاً ومن محصول الارض التي كانت مزروعة ذرة كما تقدم . وهذه الارض ثلاثة اقسام سمى قسم منها بسماد مركب من الفصاف الاعلى والنيتروجين وقسم بسماد مركب من الفصاف الاعلى والبوتاسا والثالث لم يسمى بشيء لكن محصول الاقسام الثلاثة كان واحداً كأن السماد وعدمه سيان . ومن رأي المستر فودن ان ذلك حصل لان الارض جيدة ولانها كانت مزروعة برسيم . اي ان الارض الجيدة التي كانت مزروعة برسيمًا يجود القطن فيها من غير ان يسمى ولا حاجة بها الى السماد

والارض التي كانت مزروعة ذرة كانت ثلاثة اقسام ايضاً ترك قسم منها بغير سماد وسمى قسم بالفصاف الاعلى وحده وقسم بالبودرت . اما التي بدون سداد فبلغ محصول الفدان منها ٧ قناطير و ٤١ رطلاً والتي سميت بالفصاف الاعلى بلغ محصول الفدان منها ٧ قناطير و ٢٣٧ رطلاً فالزيادة ١٩٦ رطلاً اي اقل من ثلثي القنطار والقسم الذي سمى بالبودرت كان محصول الفدان منه اقل من ذلك وهذا يدل على ان الذرة تقلل الحامض الفسفوري في الارض فيفيدها السماد الفسفوري

والارض التي كانت مزروعة قنطاً قسمت ثلاثة اقسام ايضاً فالقسم الذي لم يسمى منها بلغ محصوله ٤ قناطير و ١٤٢ رطلاً كما تقدم (لان $١٤٠٢ \div ٣١٥ = ٣$ قناطير و ١٤٢ رطلاً) والقسم الذي سمى بمزيج من الفصاف الاعلى والبوتاسا بلغ محصول الفدان منه ٥ قناطير و ٧٩ رطلاً فزاد ٢٥٢ رطلاً والذي سمى بالفصاف الاعلى ونيترات الصودا بلغ محصول الفدان منه ٥ قناطير و ٢٦٥ رطلاً اي زاد على محصول الفدان من القسم الذي لم يسمى قنطاراً و ١٢٣ رطلاً وعلى محصول الفدان الذي سمى بالفصاف الاعلى والبوتاسا ١٨٦ رطلاً وجرب ايضاً زرع القطن بعد البرسيم وبعد الفول وفي ارض بورت بعد القمح اما البرسيم فكان مزروعاً بعد القمح ورعي مرتين ثم خدمت ارضه للقطن والارض التي كانت مزروعة فولاً خدمت حالاً بعد نزع الفول منها فكان المحصول هكذا

محصول الفدان بعد الفول	٥ قناطير و ٢٧٠ رطلاً
" " " البرسيم	٨ " و ٢٢٧
بعد القمح في الارض المبورة	٩ " و ١٣٠

اي ان محصول الفدان في الارض التي كانت مزرعة قمحاً وترك بغير زرع الى حين زرع القطن وخدمت بالحراثة جيداً كان أكثر من محصول الفدان بعد البرسيم ومحصول هذا كان أكثر من محصول الفدان بعد الفول

والارض التي كانت مزرعة برسيماً قسمت قسمين سمداً أحدهما بالسباخ البلدي وترك الآخر بغير سباخ فكان محصولها واحداً تقريباً فان محصول الفدان من الاولى بلغ ٨ قناطير و ٢٤٧ رطلاً ومن الثانية بلغ ٨ قناطير و ٢٠٧ رطلاً والفرق بينهما ٤٠ رطلاً فقط

وجرب الاسمدة الكيماوية في خمسة افدنة كما جربها في ميت الدبية فوجد الفائدة الكبرى من الفصاف الاعلى ونيترات الصودا ووجد ان السباخ البلدي لا يسرع النضج فلا تكون الجمعة الاولى كبيرة كما تكون لو سمد القطن بالفصاف الاعلى ولكن الجمعة الثانية تكونان كبيرتين وفائدة الفصاف الاعلى ونيترات الصودا تفوق فائدة الفصاف الاعلى وحده ونيترات الصودا وحده ولكن نترات الصودا الممزوج بالفصاف الاعلى يؤخر نضج جانب كبير من القطن واما فصاف الصودا وحده فيسرع نضج القطن ويظهر ذلك واضحاً من هذا الجدول وقد ذكر فيه محصول الفدان المسمد بكل من الاسمدة المذكورة فيه والمحصول بالارطال

السماد	الجمعة الاولى	الثانية	الثالثة	المجموع
الفصاف الاعلى وحده	٨٣٥	٤٢٠	٤٠٠	١٦٥٥
نيترات الصودا وحده	١٣٨	٤٥٥	٩٠٠	١٤٩٣
الفصاف الاعلى والنيترات	٤٣٥	٩٣٥	٨٧٠	٢٢٤٠

الآن ان المياه كانت قليلة في الاول وزادت في الآخر فتأخر جانب من المحصول بنوع عام واستنتج المستر فودن من ذلك كله النتائج التالية وهي

- (١) ان السماد الكيماوي المناسب يكون من استعماله ربيع
- (٢) ان نتائج البودرت حسنة وتبقى منه بقية في الارض
- (٣) ان الفصاف الاعلى جيد ويسرع النضج

(٤) ان نترات الصودا يزيد المحصول لكنه يؤخر النضج فلا يحسن استعماله وحده

(٥) ان السماد الممزوج من الفصاف الاعلى والنيترات افضل من غيره ويكون هذا المزيج

من ٣ قناطير الى اربعة من الفصاف الاعلى وقنطار وربع الى قنطار ونصف من نترات الصودا او كبريتات الامونيا او النصف من هذا والنصف من ذلك . ويحسن ان تكون مقادير هذا السماد هكذا ٣ الى ٤ قناطير من الفصاف الاعلى و ٦٠ الى ٧٠ رطلاً من نترات الصودا

و ٦٠ الى ٧٠ رطلاً من كبريتات الامونيا وثمن ذلك نحو ١٣٥ غرشاً

(٦) ان سماد البوتاسا لم تكن نتيجه جيدة

(٧) ان المزروعات التي تحتاج الى ماء كثير في زمن الصيف تضر بزراعة القطن التالية

(٨) ان الفائدة قليلة من السماد في الارض الجيدة اذا زرع القطن بعد البرسيم

(٩) انه يمكن اسراع النضج بمزيج مناسب من الاسمدة

هذه هي النتائج التي استنتجها المسترفدون ويظهر لكل احد من مطالعة تقريره بالامعان امران جوهريان الاول ان السماد لا يفيد القطن في الارض الجيدة. او ان فائدته قليلة جداً كما قال آفافي في البند الثامن ولا سيما اذا زرع القطن بعد البرسيم. ولا يخفى ان زراعة البرسيم اولي من تبوير الارض لان رعيتهين منه اثمن من الفرق في محصول القطن

والثاني ان الامتحان في اراضي ميت الدبية عرضة للشك لانه يبعد عن الظن ان تكون اطيائها من درجة واحدة في الخصب وان تصل اليها المياه على كفاءة واحدة فان الاطيان التي في تلك الجهات ومن نوع اطيان ميت الدبية تزرع على نسق واحد تماماً فيغل فدان منها اربعة قناطير وفدان آخر ملاصق له اقل من قنطارين وتكون الخدمة واحدة في الاثنين وانما الفرق في جودة الارض وسهولة ربيها

والثالث ان السماد الكيماوي مختلف الدرجات وقابل للغش الى درجة قصوى فاذا لم تقول الحكومة امتحانه كيماوياً لكي تثبت درجته اي مقدار ما فيه من الحامض الفسفوريك القابل الذوبان او من الحامض النيتريك فلا يكون من الحكمة اتفاق الاموال عليه. ولكن اذا رضي تجار السماد ان يأخذوا بدل سمادهم جانباً مما يزيد في محصول الارض كان ذلك اقرب الى الانصاف وافي بالغرض وابتعد عن الغش فاذا كان عند واحد حوض مساحته اربعون فداناً من درجة واحدة من الخصب وزرع عشرين فداناً منها من غير سماد وعشرين فداناً سمداً بسماد فصفوري او نيتروجيني او فصفوري ونيتروجيني معاً وبلغ محصول العشرين فداناً الاولى مئة قنطار ومحصول العشرين فداناً الثانية مئة وعشرين قنطاراً فالعشرون قنطاراً التي زادت في محصول القسم الثاني تخرج من السماد ويحسن ان يتفق صاحب الاطيان مع تاجر السماد على ان يعطيه نصف هذه الزيادة او ثلثها او اكثر او اقل فيسلم المزارع من الخطر والعش ويهتئ التاجر بجودة سماده. هذا في الاطيان الضعيفة اما الاطيان القوية فلا حاجة بها للسماد الكيماوي بل قد يكون خصبها زائداً عما يلزم للقطن فتكبر اغصانه واوراقه ويقل لوزها وتكون الفائدة من تبعيد الزرع ونوع الخدمة اكثر مما تكون من السماد

المعرض الزراعي والمعرضات

فتح المعرض الزراعي في الثاني والعشرين من يناير ففتح الجنب العالي الخديوي ومعه جمهور كبير من الامراء اعضاء العائلة الخديوية والقناصل الجنزالية ونظار الحكومة المصرية ووجهاء العاصمة . وكانت المعارضات كثيرة من المواشي والقطن والقمح والذرة والشعير والارز والبقول والبرسيم والسكر والبنجر والطيور الاهلية - حاصلات القطر المصري ونباتات ثروته وعماد اهله . وعرض فيه ايضا تجار الآلات الزراعية انواعاً مختلفة من آلات الري والحراث والحصد والدرس والتذرية وتجار السماد انواعاً مختلفة من الاسمدة الكيماوية

وندل المعارضات الزراعية التي عُرِضت فيه على ان في القطر الآن قطناً وقمحاً وذرّة وشعيراً وقصباً وبنجرًا من اجود ما تنتج الارض في كل مكان وان فيه من المواشي الاهلية والمجولة من الخارج ما يندر ان يرى اجود منه في بلاد أخرى ولكن هل كل حاصلات الارض مثل الاصناف التي عُرِضت في هذا المعرض وهل يستفيد احد من رؤية حاصلات نادرة المثال من غير ان يعلم شيئاً عن كيفية استغلالها . هاتان مسألتان خطرنا لنا حالما وقع نظرنا على هذه المعارضات وقد تخطر ان علي بال كل من يراها . وحتى الآن لا تظهر فائدة من هذه المعارضات الا للذين عرضوها لانهم قد يهتمون بالحصول على ما يفوق غيره واهتمامهم هذا يفيدهم ولكنه لا يفيد غيرهم الا الذين يهتمون مثلهم . ومن المحتمل ان قفة الخنطة التي نالت الجائزة الاولى ولا يزيد وزنها على ائتين او ثلاث تكون منتقاة حبة حبة من عشرين اردباً من الخنطة فيكون المعرض مهيأاً للتدجيل والخذاع ومع اننا نجل حضرات العارضين عن ذلك لانربى هذا الاسلوب وافياً بالغرض المطلوب . وحيداً لو جرت لجنة المعرض مع اسلوب آخر بسطناه مراراً وهو ان تعين الجوائز الكبيرة لمن يتقن زراعة القطن حتى يستغل من الفدان الواحد ١٢ قنطاراً مثلاً ويكون نوع قطنه من اجود ما يكون حتى يشتاعه تجار القطن باغلى من غيره . ولن يتقن زراعة الخنطة حتى يستغل من الفدان ١٢ اردباً مثلاً ويكون قمحه من اجود الانواع وهلم جرا . ويعلم ذلك بان تدعى لجنة يجمع القطن امامها ويوزن او يحصد القمح امامها ويدرس ويوزن فتحكم بافضليته وتكتب رسالة في كيفية زرع ذلك القطن وهذا القمح وتشر حتى يستفيد منها الجميع

اما المواشي فلا تعرض على اسلوب آخر ولكن جيداً لو ان اصحاب المواشي البلدية والمولدة التي تنال الجوائز الاولى يكتبون رسائل في وصف توليدها وتربيتها وترويضها لكي يستفيد غيرهم من اخبارهم

اما المعروضات التي نالت الجوائز فكثيرة وقد اخترنا منها ما نال الجائزة الاولى فقط وهي
ثور عمره اكثر من ثلاث سنوات للدائرة الخاصة وعجل لبوغص باشا نوبار وبقرة حلب
عمرها اكثر من ثلاث سنوات لمصطفى باشا وهي وعجلة للدائرة الخاصة وعجل لها ايضا وزوج
ثيران شغل لمصطفى باشا وهي

هذا في بقر الوجه البحري اما بقر الوجه القبلي فالذي نال الجائزة الاولى منها ثور لمحمد
زيتي وبقرة حلب لمسعود سليمان

والبقر الاجنبية التي نالت المدالية المذهبة عجل للدائرة الخاصة وعجل آخر اصغر منه لها
والبقر المولدة او المجنسة التي نالت المدالية المذهبة ثور للدائرة الخاصة وعجل لها ايضا
وبقرة حلب لمدرسة الزراعة وبقرة للدائرة الخاصة

ونالت بقرة لمصطفى باشا وهي المدالية الذهبية وهي جائزة خاصة للبقرة التي تفوق غيرها
في الاقسام المتقدمة . ونال ثور لبوغص باشا مدالية الفضة لانه اصلح من غيره الذبح
والجواميس التي نالت الجوائز الاولى جاموس لشركة اراضي ابي قير وعجل جاموس
للدائرة الخاصة وجاموسة وعجلها لمصطفى باشا وهي وعجلة جاموس لاحمد سية وعجل جاموس
للدائرة الخاصة

والغنم المرعى التي نالت الجائزة الاولى كبش للدائرة الخاصة وثلاث نعاج للدائرة الخاصة
وثلاث حملان للدائرة الخاصة ايضا . والغنم البلدية التي نالت الجائزة الاولى كبش لابي زيد
بك طنطاوي . وعرض خليفة بك رمضان ثلاث نعاج نالت الجائزة الثانية وثلاث حملان
نالت الجائزة الثانية . ولم ينل الجائزة الاولى من المعزى الا تيس اجني عرضه سيد محمود
غمر اوي

ونال الجائزة الاولى من الجمال جمل عرضه ميخائيل فلتس . ومن الخيل حصان عرضه
المستر برنش وفرس عرضها محرم بك ابو جبل . ومن البغال بغل عرضه الشركة الزراعية
الصناعية

ونال مدالية الفضة مجموع الحيوانات التي عرضها البرنس عمر باشا طوسون والجائزة
الثانية اتان عرضها امين بك عبد الله وحمار عرضه بوغص باشا نوبار وهي عين عرضه
دافد لنجورث

وسياتي الكلام على جوائز القطن والحبوب وسائر المعروضات في الجزء التالي

بالتفويض والإيجاز

العربية المحكية في مصر

The Spoken Arabic of Egypt.

يسبح المرء في بلاد اسبوعاً من الزمان فيكتب عنها كتاباً ضخماً وابناء تلك البلاد الذين ولدوا فيها وشبوا واكتملوا وشاخوا لا يجسرون على تأليف كتاب مثله. ويشرع الواحد في درس علم من العلوم كعلم القانون او علم الكيمياء فلا يمضي عليه سنة حتى تسول له نفسه تأليف كتاب فيه يشرح غامضه ويقرب قاصيه والثقة من علماء القانون وعلماء الكيمياء يستصعب تأليف كتاب فيهما. ويتعلم واحد لغة اجنبية يعاني المشاق في حفظ مفرداتها وجملها فيري ان يسهل على غيره ما وجده شاقاً فيؤلف فيها القواميس والمذكرات. وعلى هذا الاسلوب وضع سيدويه الكتاب والفيروز بادي القاموس وهما غريبان عن العربية وجري في خطتهما كثيرون من علماء الافرنج حتى كأن الجنس الآري من الفرس والاوربيين احرص على هذا اللسان من اهله.

ولقد كانت العربية المحكية تخالف العربية المكتوبة من عهد ابن خلدون وما قبله ويظهر من أدلة لا محل لبسطها هنا انها كانت تخالف العربية المكتوبة دائماً ولم يحاول احد من ابنائها ان يجمع مفرداتها ويضع قواعد لتصرفها وتركيبها ويدعو الناس الى الاقتصار على استعمالها بدل اللغة المكتوبة كما لم يحاول احد من الانكليزان يجمع لغة البحارة والسمكة منهم ويدعو قومه الى الاقتصار عليها. لكن قد يسهل على الاجنبي ما لا يسهل على ابن اللغة ولذلك حاول بعض الاوربيين جمع اللغة المحكية في مصر والشام ووضع القواعد لها. والكتاب الذي امامنا الآن آخر كتاب وضع لهذا الغرض وضعه القاضي ولمور احد قضاة محكمة الاستئناف الاهلية والبحث في تنقيح العربية المحكية وكتابتها قديم طرقاته في المقتطف منذ احدى وعشرين سنة كما ترى في الصفحة ٣٥٢ من المجلد السادس حيث قلنا ما خلاصته

”ان اكثر الذين نجحوا بسميهم وجدهم من الافرنج كانوا بدرسون العلوم العالية مثل الجبر والهندسة والفلسفة الطبيعية والميكانيكات وهم يتعاطون احقر الاعمال ولا يعرفون من العلم سوى القراءة البسيطة. ذلك لان لغة الكتب عند الافرنج لا تفرق كثيراً عن اللغة

التي يتكلمون بها فيفهم العامي منهم لغة كتاب العلم كما يفهم العامي منا قصة بني هلال. وينتفع عامتهم بالكتب كما ينتفع خاصتهم بها ولهذا ترى سبل النجاح مفتوحة لخاصتهم وعامتهم على حد سواء وبضاعة العلم رائجة عندهم أي رواج. فترى ساقية المركبات وحارثي الارض يشتركون في الجرائد ويقتنون الكتب أكثر من أكثر خاصتنا وما هذا إلا لانهم يفهمونها وينتفعون بها. اما نحن المتكلمين باللغة العربية فكنتنا مكتوبة بلغة غير اللغة التي نتكلمها والبعد بينهما كالبعد بين الفرنسية والانكليزية او كالبعد بين اللاتينية والاطالية فلا يقدر عامتنا على ادراك معاني الكتب ما لم يدرسوا لغتها وتصر ملكة فيهم. وهذا يقتضي وقتاً طويلاً ونفقة طائلة واذا بقي الحال على هذا المتوال فلا امل ان يستفيد عامتنا من مطالعة الكتب. وبما ان العامة هم القسم الاكبر فلا امل بالنجاح التام. فاذا اردنا ان نطلب النجاح من بابيه فقد اشار ذوو الالباب بواحد من ثلاثة امور وهي اما ان نستبدل لغتنا بلغة اخرى وهذا لا نرضاه لانفسنا ولا يرضاه غيرنا لنا مع انه ممكن ونخاف ان تدعو الاحوال اليه في مستقبل غير بعيد

واما ان نكتب كتبنا باللغة التي نتكلم بها كما فعل الايطاليون والاروام وغيرهم من الامم الذين فسدت لغاتهم بتوالي الازمان وتسلط ليل الجهل ثم لما عادت اليهم شمس العلم لم يروا سبيلاً لارجاع لغاتهم القديمة فاكتفوا باللغات الشائعة حينئذ وهذبوها وكتبوا كتبهم بها. فان اللغة اللاتينية مثلاً فسدت في مدة المخطاط الدولة الرومانية ولما تبين للكتاب الذين قاموا في القرن الثاني عشر وما بعده ان لغة التكلم صارت بعيدة جداً عن لغة الكتب جعلوا يكتبون حسب لغة التكلم وكانت الكتب الاولى التي كتبت باللسان الايطالي شعيرة. واما الآن فصارت الكتب تؤلف في ذلك اللسان لا في اللاتينية مع ان اللاتينية بقيت مستعملة في التأليف ولكن على قلة. ولو كان الايطاليون لا يكتبون الآن إلا باللاتينية ما كان العلم منتشرًا في بلادهم. وما يقال عن الايطاليين يقال عن الاروام الذين تركوا اللغة اليونانية القديمة واعتمدوا على الرومية ونسبتها الى اليونانية نسبة العربية التي نتكلم بها الى العربية التي نكتب بها. ولا يخفى ان اليونانية واللاتينية لغتان قديمتان شريفتان وسيعتان انتشرتا وقتاً ما في كل العالم المتمدن وكتبت بهما كتب الفلسفة والشريعة والعلم والديانة ومع ذلك كله فسدت شرائع الطبيعة على اهلها ما ان يهملوها. وما من مانع يمنعنا عن محاربتهم فنضبط لغة التكلم الشائعة في البلدان العربية ونكتب كتبنا بها ونكون قد جربنا المجرى الطبيعي القاضي على اللغات ان تتغير بتغير الازمان

واما ان نعلم اولادنا التكلم بالعربية الصحيحة حتى نصير ملكة فيهم فيتكلمون كما

يكتبون . وهذا على ما نظن اشرف الطرق وأمنها وانفعها لان العربية الصحيحة واسعة المثلث مضبوطة القواعد غنية بالكتب يمكنها ان تجاري العلم اكثر من كثير من لغات الارض ولا سيما لان فيها بابين وسيعين وهما باب التعريب وباب النحت فلا تحتاج الاً مجعها لغويًا من اهل العلم والفضل يتحكم في تعريب الكلمات او نحتها لكي يجري استعمالها في كل الديار العربية . فاذا تم لها ذلك واجبر المعلمون تلامذتهم والآباء ابناءهم على التكلم باللغة العربية الصحيحة فربما لا يمضي عشرون او ثلاثون سنة حتى نصير لغة التكلم مثل لغة الكتابة وتحصل الفائدة المطلوبة من اللغة

هذا ما كتبناه في المجلد السادس من المقتطف في الجزء السادس منه الصادر في غرة نوفمبر سنة ١٨٨١ ولم نكن قد رأينا كتاب سبتا ولا ما ماثله من الكتب وانما كنا نشعر بالحاجة الى التقريب بين اللغة المحكية واللغة المكتوبة لاننا كنا نضطر ان نشرح قواعد العلوم لتلامذتنا باللغة المحكية حتى يفهموها . ودعونا الكتاب الافاضل الذين يغارون على الوطن لكي يبدوا رأيهم في هذا الموضوع قلبي دعوتنا كثيرون منهم كالمرحوم الشيخ خليل البازجي والجمعية الادبية الدمشقية واسعد افندي داغر وكاتب اخفى اسمه وسمى نفسه "الممكن" . وذهب اكثرهم الى ان اشاعة اللغة المكتوبة خير من كتابة اللغة المحكية . وكثيراً ما قلنا للاوربيين والاميركيين الذين ذاكرونا في هذا الموضوع انه لو اهتم محمد علي باشا جد العائلة الخديوية بكتابة اللغة المحكية في مصر والشام وجعل الكتابة بها وحدها لما وجد في ذلك كبير مشقة وكنا نجد اللغة المكتوبة الآن قريبة من اللغة المحكية قرب اللغة الايطالية المكتوبة من اللغة الايطالية المحكية ولكن اقتصار المتعلمين في مصر والشام على الكتابة باللغة العربية وشيوع الكتب والجرائد فيها ولا سيما في السنوات الاخيرة واعنياد اكثر الذين يعرفون القراءة على مطالعة الجرائد كل ذلك عضد اللغة العربية وقواها حتى صار اهلها متعذراً ان لم يكن مستحيلاً ولذلك لا نطمع بكتابة اللغة المحكية الآن ولا نشير به ولكننا نطمع ونشير بالتوسّع في اللغة المكتوبة حتى تدخل فيها كل كلمة محكية لا تقابلها كلمة فصيحى مألفة سواء كانت الكلمة المحكية مما وضعه العامة او نخنوه او نقولوه عن لغة اجنبية . ونطمع ونشير ايضاً بالتوسّع في التعريب حتى تجاري لغتنا لغات اوربا ونشير ايضاً بالحرص على كل ما هو حسن من المعاني والاستعارات العامية والمنقولة عن اللغات الاجنبية . اي يجب علينا ان نجوز للعربية ما يجوزه الانكليز للانكليزية والفرنسيون للفرنسية وكل المتكلمين بلغة حية للغتهم

ولذلك فاهتمام حضرة القاضي ولور ومن جرى مجراه ب ضبط اللغة المحكية جاء بعد اوانه واذا

تبارى هو والمحافظون على اللغة المعربة فسعيهم هو الغالب اخيراً الا اذا تسلّطت على البلاد قوة فاهرة عضدت الساعين في ضبط اللغة المحكية وكتابتها. وقد اشار القاضي ولمور الى ذلك حيث قال ان ارباب الصحف اولى من غيرهم بكتابة اللغة المحكية ولكن لا بد من ان يعضدهم في ذلك اهل الحل والعقد وهذا نص عبارته

A movement in favour of the vernacular would best be started by the press, but it would need to be strongly supported by men of influence.

لكننا لا نرى الامر آتياً على رغبته فان ارباب الصحف احرص الناس على اللغة المعربة وارباب الامر ليسوا في العير ولا في النفير

ولم يكتفِ المستر ولمور بضبط اللغة المحكية او كما سماها لغة القاهرة بل اشار بكتابتها بحروف رومانية و اضاف اليها بعض العلامات لتدل على الحروف العربية التي لا مثيل لها في اللغات الرومانية . وكتابة العربية بحروف رومانية لا غبار عليه فان العرب كتبوا بالقلم الكوفي والنسخي والسرياني ولا يتعذر عليهم ان يقتبسوا ما شاءوا من صور الحروف للدلالة على اصوات لغتهم . وقد اشرنا بذلك غير مرة وبيننا المزايا الكثيرة من استعمال الحروف الرومانية بدل الحروف العربية ولكننا نرى المستر ولمور والاستاذ سايس (الذي قدم مقدمة لهذا الكتاب) قد جاريا كل الذين انتقدوا على الكتابة العربية خلوها من الحركات . ولا ندري كيف ذهب عنهم ان هذا الاختصار في الكتابة العربية مزية تماثل الكتابة المختصرة في لغتهم وان بعض النوايع من علمائهم يود لو كانت كتابتهم كذلك . نعم ان كلمة " كتبت " لا يعلم هل هي كَتَبْتُ او كَتَبْتِ او كَتَبْتَ او كَتَبْتِ الخ وكلمة كتاب لا يعلم هل تلفظ كِتَاب او كَتَاب او كُتَاب ولكن ألا يرى المستر ولمور ومن جرى مجراه ان القرينة تكفي للدلالة على الكلمة الاولى والسمع يكفي للدلالة على لفظ الكلمة الثانية . وهل يطمع هو او غيره ان يتعلم لغة اجنبية من غير ان يسمع لفظها من العارفين بها ومن غير ان يرى فيها كتابة ذات معنى . وما مطابعا لطبع مئات من الكتب كل عام ومئات الالوف من صحف الاخبار وكلها تباع وتقرأ وتفهم ولا تضطر الى وضع حركة فيها الا نادراً عند خوف اللبس او غموض المعنى لان من يقرأ في لغة يفهمها لا يضطر ان يرى كل حرف من كلماتها والا تعذر عليه قراءة الخط فان حروفاً كثيرة منه لا تظهر مطلقاً ولا سيما في خط علماء الانكباذ ومع ذلك لا نتعذر قراءته . وهذا امر لا ينزع فيه . ونحن لا نرى قراءة الكتابة العربية التي لا شكل فيها اصعب من قراءة الكتابة المشكولة او من قراءة الكتابة التي وضعت فيها حروف بدل الشكل . واذا قرأ حضرة صفحة من كتاب

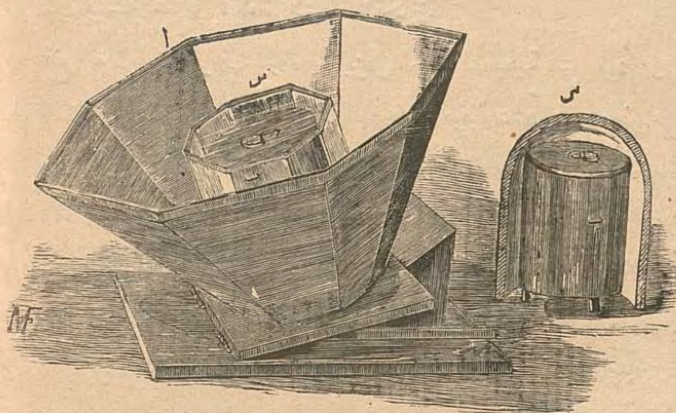
انكليزي كالتوراة مثلاً وقرأنا نحن صفحة تماثلها من التوراة العربية المطبوعة من غير شكل فلا نطن أنه يفهم بلغته أكثر مما نفهم بلغتنا أو أنه ينحل من دماغنا أكثر مما ينحل من دماغه .
أي أن الجهد الذي نبذله نحن في قراءة كتبنا العربية المطبوعة من غير شكل لا يزيد على الجهد الذي نبذله هو في قراءة كتبه الانكليزية

ثم أن وضع العلامات للحروف الرومانية يزيل المزية المطبعية التي نود أن نترك حروفنا لاجلها . ولما كانت الحروف الرومانية أقل من الحروف العربية عدداً فيستعاض عن الناقص منها بقلب حرف يقاربه فيقلب حرف t هكذا + للدلالة على الطاء وتستعمل الحروف y, u, a للدلالة على الالف والواو والياء والحروف i, o, e للدلالة على الفتح والضم والكسرة ولا تستعمل هذه الثلاثة إلا عند غموض المعنى أو خوف اللبس كما تستعمل الحركات العربية الآن . ويستعاض عن علامة الشدة بتكرير الحرف وعن نون التنوين بحرف n يوضع بعد علامة الضمة أو الفتح أو الكسرة وعن الهمزة بحرف a مقلوباً فتقوم الحروف الرومانية مقام الحروف العربية تماماً فتبقى علامات البناء والاعراب على حالها

وقد عني المستر ولمور بجعل الحروف دالة على الاصوات وهو عناء باطل لأن اصوات اللغة تعد بالمئات ونحن نكتفي بعشرين أو ثلاثين حرفاً للدلالة عليها كلها . أما كون الاصوات كثيرة فلا ينكره أحد ينعم نظره في ذلك وأوضح دليل نذكره له علامات الفونوغراف فإن اشكلها المختلفة لا تكاد تحصى ولو كانت الاصوات واحدة حسب الظاهر . فاختصر الطرق واصحها أن تبدل الحروف العربية بحروف رومانية كما هي ثم تكتب الكلمات العربية بالحروف الرومانية كما تكتب بالقلم النسخي الآن وكما كانت تكتب بالقلم الكوفي فتكتب الكلمة ملك هكذا Mlk وإذا أريد الفرق بين مَلِك ومَلِك كُتِبَت الأولى Melek والثانية Melik ومزايا هذا الاسلوب كثيرة لا يحل لبسطها هنا

وليس من الانصاف أن يبخس المستر ولمور حقه فإنه تعب في ضبط لغة القاهرة تعب سيئويه في ضبط لغات العرب ووضع في ذلك كتاباً فيه نحو ٤٠٠ صفحة مشحونة بالفوائد وغرضه من اشرف الاغراض وانبلها وهو تسهيل نشر العلوم والمعارف باللغة العربية وتسهيل التكلم بالعربية على الاجانب لكن اسلوبه لا يوصل الى الغرض الاول في رأينا بعد ان نهض ابناء العربية الى احياء اللغة العربية واكثرها من استعمالها ونشر الكتب والصحف فيها ولا سبيل لتحقيق التعليم الجبري ولو ظن ان سنتين تكفيان لذلك لأنه يقتضي عشرة آلاف معلم على الاقل وهو لا يثبتون من الارض ولا يهبطون من السماء

باب الطبست



(١) آلة بخارية شمسية

انجلس في كليفورنيا باميركا
Los Angeles, California.

وهي مصنوعة من اناء مخروطي كبير قطره اكثر من عشرة امتار مبطن بالف وسبعائة و٨٨ مرآة موضوعة فيه حتى يجتمع نور الشمس المنعكس عنها في بقعة واحدة وهناك رجل (اظان) طول ١٣ قدماً ونصف قدم يسع مئة جالون من الماء. وقد فصلنا الاساس الذي بنيت عليه هذه الآلة منذ ٢٤ سنة في الكلام على الطبخ بحرارة الشمس كما تجده في الجزء الثالث من المجلد الثالث من المقتطف ورسمنا هناك هذا الشكل ولا بأس بنشره هنا ثانية. ولا بد من ان يدرك هذا الاناء المخروطي مع الشمس حتى يتي مواجها لها وهو يدرك كذلك بالآلة نفسها او بالآلة كآلة الساعة

بغداد. يعقوب ميخا الشيخ. اطالعنا على مقالة نشرت في بعض المجلات يقال فيها ان البعض استخدموا حرارة الشمس بدل الفحم والخطب وسائر انواع الوقود بواسطة المرآة المحرقة وان هذه الحرارة تغلي الماء فتكثف منه بخاراً قوته قوة اربعة افراس فان كان ذلك صحيحاً فاي نفع تصنع هذه الآلة وهل صنعت آلة مثلها بقوة عشرة افراس فاكثروا فيدوننا ولكم الفضل

ج ترون في الصفحة ٣٨٢ من مقتطف السنة الماضية انه صنعت آلة بخارية بقوة عشرة افراس تدور بحرارة الشمس. وقد اطالعنا الآن على صورة آلة بخارية شمسية بقوة خمسة عشر حصاناً موضوعة في دار النعام بلوس

(٢) ري الحنطة

ومنه . نريد زرع اربعة آلاف كيلو
من الحنطة في ارض يابسة لا تسقى بالمطر
افنض ربيها بواسطة آلة بخارية ترفع الماء من
عمق ثمانية امتار بشرط ان تدار سبع ساعات
في اليوم غير اننا نجعل كم يلزم ان تكون قوة
هذه الآلة لتقوم بري اربعة آلاف كيلو من
بذار الحنطة

ج لو ذكرتم مساحة الارض لكاف
لتقدير قوة الآلة البخارية اقرب الى الحقيقة
ولكن لنفرض ان بذار الفدان عندكم نصف
اردب كما هو في القطر المصري فالاربعة آلاف
الكيلو تكفي لزرع خمسين فدانا من الارض
والفدان نحو خمس دنمات واذا كان عمق الماء
ثمانية امتار فالحصان البخاري يروي نحو فدان
كل سبع ساعات فاذا اريد ري هذه الارض
في عشرين يوما فالآلة التي قوتها حصانان
ونصف تكفي لذلك

(٣) تعلم النطق

المجربين . الشيخ حسين بن علي بن مشرف
ما قولكم في ولد وضع في الفلاة طفلاً وعاش
مع الانعام حتى بلغ سن التمييز فهل ينطق
كالانسان او يبقى اعجم كالحيوان او يكون
بين بين

ج يبقى اعجم كالحيوان بقلده في
اصواته التي يسمعه منها لان اللغة ليست

فطرية في الانسان بل هي مكتسبة بدليل انه
لا ينطق الا باللغة التي يسمعه او يتعلمها . ثم
ان فرضكم الاول ان يوضع الطفل في الفلاة
فيبقى حياً بعيد الاحتمال لان طفل الانسان
ضعيف لا يستطيع السعي كطفل الحيوان
ولا وقاية نفسه فاذا لم تأكله الضواري اكله
النمل او مات جوعاً

(٤) بداءة الرضاعة

امبابه . اسكندر افندي نبيه . قيل
ان الطفل يجب ان لا يرضع الا بعد خمس
ساعات او ست من ولادته ويسقى في غضون
ذلك ماء محلي بالسكر او بالعسل فهل هذا صحيح
ج الصحيح منه ان الطفل يترك بعد
ولادته اربع ساعات او خمساً من غير رضاعة
لانه يكون في جسمه من الغذاء ما يغنيه عن
الطعام وخير له ان يترك حينئذ لينام الى
ان تستريح امه وتصبح قادرة على ارضاعه .
ولا يسقى شيئاً لاماء محلي بالسكر ولا بالعسل .
ولا يدرك لبن امه غالباً قبل اليوم الثالث
ولكن يخرج منه في اليوم الاول والثاني
ما يكفيه

(٥) حلالة ماء النيل

ومنه . قال منيطون المؤرخ المصري ان
ماء النيل حلا في عصر الملك نفرخوس حتى
صار حلوّاً كالعسل وبقي على هذه الحال احد
عشر يوماً فاني له تلك الحلالة وكيف كانت

المعدة او الضغط عليها من الغازات المتولدة فيها فاذا جرى النائم بديه حتى ارتفعت عضلات صدره زال عنه الكابوس حالاً

(٧) فوائد الغليسرين

ومنه . جاء في احدى الجرائد الفرنسية المصورة ان الغليسرين يصلح لتنظيف الاحذية وتجديد رونقها وحفظ متانتها واذا مزج بدقيق الشعير وغسل به الوجه اكسبه لوناً حسناً واذا مزج جزءان منه بجزء من سحر الشب ودلك به الاقدام ازال منها رائحة العرق ويستعمل لمعالجة ورم اللثة وينفع المصابين بالزكام فهل ذلك صحيح وهل يعتمد على هذه الجريدة

ج ان ما ذكر عن الغليسرين هنا صحيح ولكننا لا نعلم منزلة هذه الجريدة بين الجرائد الموثوق بها ولا يكفي ذكر سطرين منها للدلالة عليها كلها

درجتها ان كان هذا المؤرخ من الصادقين ج لا يكلف احد بتصديق امر الا اذا كان ذلك الامر مما يدل الاخبار على امكان وقوعه وكان عليه شهود عدول . والاخبار يدل على ان صيرورة ماء النيل حلوا كالعسل ليست مما يقع في الانهر لا في نهر النيل ولا في سواه ولا اثبت شهود عدول حدوث ذلك فيرفض مثل كل الاخبار المخالفة

(٦) سبب الكابوس

ومنه . من اي شيء يتولد المرض المسمى بالكابوس

ج سببه القريب انقباض الحجاب الحاجز والعضلات التي بين الاضلاع واسبابه البعيدة النوم على الظهر او على شكل يتضابق منه النائم ووجود الطعام غير المهضوم في

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورية ببال جمعة لها من كرماء اوربا واميركا وتولى رئاستها من حين انشائها الى بدء هذا العام خمسا وثلاثين سنة وبضعة اشهر على السنوات التي قضاها في جمع المال لانشائها . وقد كتب اليها من بيروت الآن انه اراد الراحة التي يطلبها كل شيخ بلغ سنه ونعب تعب فقبلت لجنة المدرسة استعفاءه وعينت

الدكتور دانيال بلس

لدكتور دانيال بلس استاذنا ورئيس المدرسة التي رضعنا منها البان العلوم انشا المدرسة الكلية الاميركية في بيروت بسبعه وفتح ابوابها للطلبة في اواخر سنة ١٨٦٦ وكانت في بناء مأجور ثم بنى لها دوراً رحبة في رأس بيروت في اجمل بقعة من بقاع

منهم من المجرمين الذين نفوا الى تلك الجزيرة او من اولاد المجرمين . سنة ١٨٨٠ كان متوسط الجرم في استراليا بالنسبة الى عدد سكانها اقل من متوسطها في بروسيا وسكسونيا وايطاليا واسوج فلو كان الميل الى ارتكاب الجرائم موروثاً لوجب ان يكون في سكان استراليا اكثر مما في غيرهم

البرد والمدافع

كتب الاستاذ مونتي الايطالي ثلاث مقالات في البرد وما يقال من ان اطلاق المدافع يمنع وقوعه بين فيها ان ثوران البراكين لا يمنع وقوع البرد وأنه يقع من العواصف التي يسببها ثوران البراكين . وان حدوث الرعد لا يمنع وقوعه أيضاً بل ان اكثر وقوعه يكون مصحوباً بالبرق والرعد فلو كان اطلاق المدافع يمنع وقوعه بتجزيك الهواء لكان وقوعه يمتنع بثوران البراكين وقصف الرعد

تحاريق النيل

يظهر من مقاسات النيل في الخرطوم وما فوقها ان التحاريق المقبلة ستكون شديدة اشد مما كانت في العام الماضي وتكاد تماثل تحاريق سنة ١٩٠٠ ولا يعلم سبب ذلك حتى الان ولكن اذا كان سببه قلة الامطار في الاقطار الاستوائية فعواقبه وخيمة لانه لم نقل الامطار في بلاد الان نتج عن قلتها نقص الحاصلات وضيق المعيشة

لجله الكريم المستر هورد بلس رئيساً لهابلاً منه وسأني على ترجمة الرئيسين في جزء تال

هبة كارنجي للبحث العلمي

وهب المستر كارنجي مليونين من الجنيهات لاجل البحث العلمي من كل نوع سواء كان في العلوم الطبيعية او الادبية او الفنية فيستفي ريع هذا المال على مساعدة مدارس الحكومة الاميركية والجمعيات العلمية والعلماء بنوع عام . وبمثل ذلك ترثي العلوم والصنائع عند الاوربيين والاميركيين

اسباب الجرائم

النأ مؤتم علم الانثروبولوجيا الجنائية اي العلم الذي يبحث عن الجرائم من حيث اسبابها وعلاقتها باخلاق الانسان فارتأى الاستاذ لمبروزو الذي يعد كواضع لهذا العلم ان الاهواء التي تتغلب على الانسان وتحمله على ارتكاب الجرائم يمكن توجيهها الى غايات حميدة اذا وفاهها العلماء حقها من البحث . وقال الاستاذ لاكاسانج والاستاذ مارتين ان السبيل الوحيد لاستئصال الجرائم هو سن القوانين لمنع استعمال المسكرات ومنع انتشار السل والزهرى . وقال الدكتور غارنيه ان السكر هو سبب اقدام الصغار على ارتكاب الجرائم وقال المستر سذرلند الاسترالي ان فعل الوراثه قليل لا يعتد به فان اهالي استراليا كانوا ٢٤٠ الفاً سنة ١٨٥٠ وكان ١٣٥ الفاً

سفن هدن

عاد الدكتور سفن هدن الى السياحة في قلب اسيا وقد ورد تلغراف منه الآن الى ملك اسوج يقول فيه انه قطع بلاد التبت مخفياً في زي حاج حتى اذا بلغ مدينة لاسا كشف امره فقبضوا عليه لكن الاله الكاهن الاكبر امر ان يعامل بالحسنى

الورق والفوتوغراف

كتب الدكتور رسل في جريدة ناشر ان الورق يؤثر غالباً في الواح التصوير الشمسي اذا وضع معها في الظلام والورق الدون يؤثر فيها كثيراً والورق الجيد يؤثر فيها قليلاً حتى اذا كانت الورق جيداً جداً لم يؤثر في الاواح الفوتوغرافية ابداً . وقد امتحن ورق كثير من الجرائد الانكليزية فوجد ان ورق الستندرد والدالي اكبرس والدالي مابل يؤثر في الاواح كثيراً فيسودها وورق التيمس والغلوب وناتشر يؤثر فيها قليلاً جداً وورق الدالي تلغراف والدالي نيوز والدالي غرافك والمورنن ليدر لا يؤثر فيها ابداً وقس على ذلك الكتب والمجلات فاغلاها ورقاً اقلها تأثيراً في الاواح الفوتوغرافية

الفيل الروسي

جاء عن بطرس برج ان اللجنة التي ارسلت لجلب الفيل الروسي القديم (المموت) الذي كشف في كوليمسك عادت بجثته بعد

اقدار السيارات

حققت اقدار السيارات وبعض النجيات بعد رصدها بنظارة لك التي قطر بلورتها اربعون عقدة فاذا هي هكذا

قطر عطار	٢٩٦٥	ميلاً
قطر الزهرة	٧٧١٣	"
قطر النخيمة سرس	٤٧٧	"
" " بلاس	٣٠٤	"
" " جونو	١٢٠	"
" " فستا	٢٣٩	"
" المريخ الاستوائي	٤٣٥٢	"
" " القطبي	٤٣١٢	"
" المشتري الاستوائي	٩٠١٩٠	"
" " القطبي	٨٤٥٧٠	"
" قمر الاول	٠٢٤٥٢	"
" " الثاني	٠٢٠٤٥	"
" " الثالث	٠٣٥٥٨	"
" " الرابع	٠٣٣٤٥	"
" زحل الاستوائي	٧٦٤٧٠	"
" " القطبي	٦٩٧٨٠	"
" قمر تشيان	٠٢٧٢٠	"
" اورانوس الاستوائي	٣٥٨٢٠	"
" " القطبي	٣٣٩٢١	"
" " نبتون	٣٣٩٠٠	"

وظهرت كرة نبتون مستديرة دائماً

عناء شديد وهي تامة لم يَل منها شيء وتدل
علي أنه كان متوسط السن ولم يزل بعض
الطعام في فيه ومعدته غير مهضوم وكان ذنبه
قصيراً مغطى بشعر طويل وقد وقاه الثلج
والبرد من البلى

هبة مصرية

وهب السر ارنست كاسل مئتي الف
جنيه لبناء مستشفى يعالج فيه المسلولون
وطلب من جلالة ملك الانكليز ان يقبل
هذه الهبة ويأمر بانفاقها في سبيلها . ويحق
لنا ان نسمي الهبة مصرية مع ان الواهب
انكليزي والموهوبون انكليز لان الواهب ربح
هذا المال كله او بعضه من القطر المصري من
الخزان والبنك الاهلي وتبرع بالهبة وهو في
الديار المصرية . وقد عين جلالة الملك لجنة
من كبار العلماء لاتمام ذلك . ويراد ان
يكون المستشفى كبيراً يسع مئة مسلول
ويكون مبنياً على احسن اسلوب قضى به العلم
ومجهزاً بافضل الوسائل واتمها للبحث عن داء
السل ودوائه . واتماماً لهذا الغرض دعي
الاطباء من كل مكان لابداء رأيهم في
مقالات يكتبونها وعُينت لهم جوائز قيمتها ثمانمئة
جنيه ويقسم هذا المبلغ ثلاث جوائز الاولى
٥٠٠ جنيه والثانية ٢٠٠ جنيه والثالثة ١٠٠
جنيه تعطى لاصحاب المقالات الثلاث التي
تحكم اللجنة انها افضل من غيرها

كتابان عريان قديمان

وجد الاستاذ سيلد بين كتب الخط
القديمة في مكتبة تبنجن كتابين عربيين
قديمين الواحد منها نسخة من الف ليلة وليلة يظن
انها اقدم نسخة والثاني كتاب الدوائر والنقط
في عقائد الدروز

ترعنا بناما ونيكارغوى

قابلت جريدة السينتفك اميركان بين
ترعة بناما وترعة نيكارغوى وقالت ان نفقات
ترعة بناما تبلغ ١٨٩٨٦٤٠٦٢ ريالاً اي
نحو ٣٨ مليون جنيه ونفقات اتمام ترعة بناما
تبلغ ١٤٤٢٣٣٣٥٨ ريالاً يضاف اليها ٤٠
مليون ريال الثمن الذي قدر به ما تم منها
الى الآن فتصير نفقاتها ١٨٤٢٣٣٣٥٨ ريالاً
او نحو ٣٧ مليون جنيه فالفرق في النفقات
بين الترعتين نحو مليون جنيه ولكن النفقات
السنوية لترعة نيكارغوى تزيد على النفقات
السنوية لترعة بناما نحو ١٣٠٠٠٠٠ ريال
فكانت النفقات الاولى لترعة نيكارغوى
زادت على النفقات الاولى لترعة بناما ٣٨
مليون ريال او اكثر من سبعة ملايين ونصف
من الجنيهات

نجاح معرض غلاسكو

بيننا نرى الفرنسيين والذين شاركهم
في معرضهم يشكون من الخسائر التي كابدوها
والاميركيين يشكون شكواهم من معرض

بضعة ايام فيبيض البعوض فيه ويتكاثر فلما
ردمت المستنقعات او نزحت وازيلت الشقق
وظمرت في حفرة كبيرة زال البعوض كله
فجاء السكان من الحميات

تلغراف ارمرل

لما استنبط التلغراف الكهربائي وكان
مستنبطوه يصنعون له الآلات الكثيرة
التراكيب للدلالة على حروف الهجاء بواسطة
حركات الابرة المغنطيسية قام مورس في
اميركا على غفلة منهم واستنبط اسلوباً بسيطاً
جداً للدلالة على حروف الهجاء فشاغ استعماله
حالا في كل المسكونة . والآن ينظر
مركوبي وتسلا وغيرهما يتبارون في اصلاح
التلغراف الاثيري وانقان آلاته حتى تنتقل
به الاشارات الكهربائية الوفاً من الاميال
قام مهندس انكليزي اسمه ارمسترنج وصانع
اسوحي اسمه أرلنج واشبهرا تلغرافاً بديلاً
استنبطاه قبلما استنبط مركوبي تلغرافه .
وهو في حد البساطة يوضع في صندوق صغير
طوله سبع عقد وعرضه اربع عقد وعلوه
ثمانى عقد وتنتقل الاشارات الكهربائية به من
مكان الى آخر من غير اسلاك معدنية
كالتلغراف العادي ومن غير اعمدة تُصب
في الجو كتلغراف مركوبي وانما يغرز له
وتدان صغيران في الارض فينتقل الاشارات
الكهربائية بالارض من مكان الى آخر .

بقول نرى الانكليز مبتهجين بالريج الذي رجوه
من معرض غلاسكو فقد دخل ابواب هذا
المعرض ١١٤٩٦٢٢٠ نفساً وبلغ دخل
لجنته ١٢٠ الف جنيه ورجحها الصافي من
ذلك ٨٠ الف جنيه . وقد كان هذا
المعرض من اعظم المعارض كلها من حيث
اظهار حالة الصناعة في الدنيا

منع الحمى الملارية

نجح الماجور رولند روس في تخلص
فريتون عاصمة سرّا ليون من الحمى الملارية
بعد ان كانت مستوطنة فيها وقد ثبت الآن
ان الحمى الملارية والحمى الصفراء وداء الفيل
ينقل البعوض عدواها من المرضى بها الى
الاصحاء . وانواع هذا البعوض ثلاثة لكل
مرض من هذه الامراض الثلاثة نوع منه
الاول منها يتولد في المستنقعات والثاني
والثالث في الآنية التي تكون في القمامات
كشقف القناني والصفائح الفارغة . فنزح مياه
المستنقعات من حول تلك المدينة اوردها
بالتراب وكنس ما حول البيوت من القمامات
والاقذار وارى السكان العوم التي يتولد
البعوض منها لكي يكبوا كل اناء يجدون العوم
في مائه او يصبوا فيه قليلاً من زيت البترول .
وكان البعوض يتولد في كل بيت من آنية
الماء التي فيه ومن شقف الآنية المطروحة
حوله فان ماء المطر يبقى في تلك الشقف

في البارجة ولذلك لا خوف ان يحركها محرك آخر خداعاً . فقد تمت فائدة الغواصات بهذا الاختراع البديع

تربيد ارمول

واستنبط ارمستننج وارلنج تربيداً وضعاً فيه آلتها والقيام في البحر تحت الماء وإدارته من البر او من سفينة كما يريدان بواسطة التحوجات الكهربائية وإذا بلغ ثمن تربيد هويتهد ٣٥٠٠ ريال فثمن هذا التربيد وكل آلاته ١٠٠٠ ريال . وسيكون اكبر آفة على البوارج الحربية

الغام ارمول

ثم ان الالغام التي تلغم بها الصخور والمناجم والحصون يشعل بارودها بالكهربائية توصل اليها بسلك معدني فاستنبط ارمستننج وارلنج آلة صغيرة توضع في اللغم وتحرك بالة اخرى بعيدة عنها فتشعله حالاً

قناديل ارمول

واستعملوا آلتها ايضاً لانهارة القناديل الكهربائية واطفائها عن بُعد . وفائدة ذلك كبيرة في الانوار التي تستعمل اشارات على سكك الحديد فيستطيع مأمور المحطة ان ينيرها او يطفئها وهو جالس في مكانه ولو كانت على ميال منه

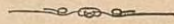
وقد نجحنا حتى الآن في نقلها عشرين ميلاً وهذه المسافة اطول من المسافة التي نقل فيها مركوبي اشاراته الكهربائية اولاً . فاذا نجح تلغرافهما لنجاح تلغراف مركوبي لم تمض عليه بضع سنوات حتى يصير له الشأن الأكبر بين وسائل نقل الاخبار

غواصة ارمول

قلنا في النبذة السابقة ان تلغراف ارمول نقل به الاشارات الكهربائية بالارض وحدها من غير سلك ومن غير اعمدة تنصب في الهواء . ولما كان الماء اصح من الارض لايصال الكهربائية استنبط المخترعان سفينة غواصة تغوص في الماء وتسير فيه حسبما يسيرها ريان البارجة التي تنزل منها لانه يكون فيها محرك كهربائي وآلة من آلات ارمول وفي البارجة آلة من آلات ارمول ايضاً والثانية تحرك الاولى حسبما يشاء محركها فتحرك هي المحرك الكهربائي وتسير الغواصة الى الامام او الى الوراء او الى اليمين او الى اليسار وتعلو او تسفل وتسرع او تبطئ حسبما يريد المدير الذي في البارجة . وآلة ارمول رخيصة جداً يبلغ ثمنها نحو ستين غرشاً وهي تدوزن على درجات مختلفة جداً فتدوزن الآلة التي في الغواصة والتي في البارجة على دوران واحد فلا تعود الآلة التي في الغواصة تتأثر الا بالتحوجات الكهربائية التي تأتيها من الآلة التي

فهرس الجزء الثاني من المجلد السابع والعشرين

رجال الاعمال والاموال (مصورة)	٩٧
الجدام . للدكتور حسن باشا محمود	١٠٧
مزار الحشيش . للدكتور توفيق صوصه	١٠٩
اساطير الاولين . لجرجي افندي نيني	١١٣
الانتجال او سرقة الشعر والنثر . لاسعد افندي داغر	١١٨
باكون وشكسبير . لنجيب افندي شاهين	١٢٥
عروسة النيل	١٢٩
فتح المكسيك	١٤٦



باب المراسلة والمناظرة * هواجس ام وساوس . الشعراء المحافظون . الاعتصاب وحبوبة الامة . الممصرية والانشاء . جائنغ خورشيد ٢٠٠ جنبه	١٥٤
باب الزراعة * اسماد الكياوي والقطن (مصورة) . المعارض الزراعي والمعرضات	١٧٦
باب التفريظ والانتقاد * العربية المحكية في مصر	١٨٧
باب المسائل * آلة بخارية شمسية . ري المنطة . تعلم النطق . بداءة الرضاعة . حلاوة ماء النيل . سبب الكابوس . فوائد الغليسرين	١٩٣
باب الاخبار العلمية * الدكتور دانيال بلس . هبة كارنيجي للبحث العلمي . اسباب الجرائم . البرد والمدافع . تحاريق النيل . اقدار السيارات . سفن هدن . الورق والفوتوغراف . الفيل الروسي . هبة مصرية . كتابان عريان قديمان . ترعتا بناما ونيكارغوى . نجاح معرض غلاسكو . منع المحو الملائرية . تلغراف ارمرل . غواصة ارمرل . ترييد ارمرل . الغام ارمرل . قناديل ارمرل .	١٩٤